خطايا الشهد

obeikandl.com

الكتاب : خطايا الشهد
المؤلف : مروة سمير
تصميم الغلاف :
تدقيق لغوي : أحمد عبد المجيد
رقم الإيداع : ٢٠١٤/٩٣٠٨
الترقيم الدولي : ٦-٥٩-٦٤٣٦-٩٧٧-٩٧٨
الطبعة الأولى : ٢٠١٤

٢٠ عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧
Noon_publishing@yahoo.com
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

obeikandl.com

خطايا الشهد

رواية لـ

مروة سمير

obeikandl.com

obeikandl.com

إهداء وامتنان إلى..

أعظم أب في الدنيا؛ د. سمير شحاتة..

وأمي؛ أحن وأجمل أم في الوجود..

نور حياتي إخوتي.. شيماء وأحمد ومحمد..

أصعب وأجمل عائق في الكتابة؛ طفليّ بسنت وعليّ، حفظهما الله لي..

وإلى..

كاتبي المفضل.. ناقدي الأقسى.. وناصحي الأصدق..

من دعمني وساندني حتى تخرج أحلامي للنور..

أحمد عبد المجيد

شريك حياتي.. وفي ذلك كل المعاني..

أُحبكم

obeikandl.com

obeikandl.com

– ألديكِ موعد مسبق؟

-أنا؟ آ.. كلا، أكان يجب أن أحجز موعدًا أولاً؟ ألا يمكنني الدخول الآن؟

ابتسمت الممرضة:

- إن كنتِ مصرة، فيجب أن تنتظري حتى ينتهى الدكتور من كل الكشوفات.

نظرتْ حولها، فلم ترَ سوى ثلاثة أشخاص.

- سأنتظر، لا بأس.

مضت نصف ساعة قبل أن يخرج المريض الأول من غرفة الدكتور، فابتسمت بسخرية، على هذا المنوال ستنتظر ساعتين أو ثلاث.

شبّكت يديها تقاوم التوتر بشرود.. وهنّأت نفسها مجددًا على اتخاذ هذه الخطوة أخيرًا، تابعت المريض الجديد وهو يتجه إلى "الغرفة السحرية" التي ستُخلصها من كل حيرتها وتوترها.. مريض؟ أتعتبر نفسها مريضة أيضًا؟

لا! يجب أن تُوضح ذلك للطبيب حالما تدخل إليه..

ربما ترى دافعي للقدوم واهيًا، فلا أعاني أزمة نفسية معقدة أو مرضًا عصبيًا ما.. أنا فقط.. أريد أن أجد نفسي..

obeikandl.com

الحيرة هي لعنتي الأبدية.. آه.. لا، الحقيقة خيالي هو لعنتي الكبرى.. أو ربما وتر الإحساس لدي هو اللعنة الحقيقية.. لا أدري!

لا أذكر شيئًا قبل سن أربع سنوات.. فمازلت أذكر أول إدارك وأول إحساس نفذ إليّ في هذا السن.. إحساس بأنني أنثى.. لا أذكر أنني كنت يومًا طفلة.. لا أذكر أنني تخليت يومًا عن مظهري الأنثوي وصفاتي الأنوثية لأجل لهو ما أو لعبة جذابة مع أطفال.. أنا أنثى.. وُلدت أنثى.. كانت هذه القاعدة التي أتعامل من خلالها..

لكن كان هناك إدراك آخر تسلل إليّ في هذه السن أيضًا.. إدراك بأن حسام ابن صديقة والدتي، والذي يأتي كثيرًا مع والدته وأخته، فتى لطيف، فأحببته ببراءة وطفولية.. طفولية لم تخلُ من أنوثتي.. فعندما يأتي كنت أحب ارتداء ثوبي الوردي القصير، وإسدال شعري الطويل لأبدو آنسة جذابة في نظره، خاصة أنه يكبرني بسبعة أعوام.

كنت هادئة جدًا.. متزنة جدًا.. عكس معظم الأطفال.. فأنا آنسة كبيرة الآن.. كيف أفعل شيئًا يخالف ذلك؟

ظلّ هذا الإحساس يرافقني طوال حياتي.. حتى الآن، فدومًا ما أفكر في انطباع أي شخص عني.. رجل أو امرأة.. كأنثى أولاً، قبل التفكير في شهاداتي أو شخصيتي أو مهاراتي..

إحساس غريب.. يسري في جسدي وإدراكي دومًا، أقيس عليه كل أفعالي وأقوالي.. إحساس يملأني رقة وعذوبة.. فأتجنب الكلمات الفظة في حديثي، كأنها تكسر سيمفونية النعومة التي أسبح فيها..

أبتسم كثيرًا.. لكن أضحك باتزان..

ينتابني الفضول لمعرفة تفاصيل حياة الأميرات وطريقة جلوسهن وتعاملهن مع الآخرين.. لم أتعمد شيئًا.. لم أرسم صورة معينة لأضع نفسي فيها.. فقط وجدتُني في تلك الصورة وحدي، ففرضتْ عليّ قواعدها وأصول البقاء فيها.

في العاشرة لم يكن حسام حبي الوحيد.. خاصة أنه لم يكن مهتمًا بي بالشكل الذى أريده.. فظهرت أطياف أخرى عديدة أحببتها، مع احتفاظي بحبي السري له.. فهدوئي الطبيعي بدا مبالغًا لدرجة لم تجذب كثيرًا من الأطفال لي.. لكني فعلاً لم أكن أتعمد ذلك، وإلا توقفت عنه لأحظى بشعبية وصداقة العديدين ممن هم في سني..

فقط هكذا كنت أنا.

في مرحلة المراهقة وقعت في حب العديد من الأشخاص بطريقتي.. حب يخصني وحدي.. في بعض الأحيان فقط كنت ألقى تجاوبًا صامتًا لا يتعدى النظرات مع ابتسامتي اللطيفة وعينيّ اللامعتين.. فيزداد إحساسي بالفرح والدفء.. لكن لم يكن هناك ثمة شيء حقيقي أو مؤثر في تلك المرحلة بالنسبة لي.. كنت أحلم.. وأهرب فزعاً إن ظهرت أقل علامة على انقلاب الحلم لحقيقة.. اكتفيت فقط بالحلم..

وكان هناك حب آخر يلازمني طوال سنوات عمري.. الرقص.. رقص شرقي ناعم تمتزج فيه النغمات وتتموج مع حركات الجسد، وليس الرقص الهستيري السريع الذى تمارسه الفتيات في الأفراح..

فالرقص أيضًا مرتبط عندي بالإحساس.. إحساس بالنغم والانسيابية.. والأنوثة.. كالدغدغة الناعمة.

كنت أعرف أن الأنوثة ليست مرتبطة بالجمال بقدر ارتباطها بإحساس المرأة بها.. أليس هناك جمال بارد؟ وفتاة غير جميلة لكنها جذابة؟

وأنا نفسي كما ترى لست صارخة الجمال، فقط أتمتع بقدر من الحسن.. وكثير من الإحساس..

قال لي (خالد) ذات يوم.. إن في عينيّ وعدًا بالإغواء.. وفي ابتسامتي أنوثة كل النساء.. أما صوتي فموسيقى عذبة تبعث الرجفة في جسده عندما تنخفض وتيرته أو يزداد رقة..

لا أدري ما الذي ذكّرني به الآن.. ربما لأنه من أكبر أسباب حيرتي وارتباكي.. فقد كان زميلي في العمل ويكبرني بأربعة عشر عامًا.. ومتزوج ولديه أطفال!

كنت أعرف مقدمًا كل ذلك، وكنت في الثالثة والعشرين من عمري، وتوقفت عن سخافات المراهقة والرغبة في اختبار تأثير ابتسامتي على كل من أراه، نعم كان ولازال إحساسي بأنوثتي يطغى على مشاعري، لكن بحكم النضج اعتدت التحكم في ذلك..

فلا أعرف كيف نشأ بيننا ذلك الانجذاب.. أهي الكيمياء بين الأشخاص التي أسمع عنها؟

أم جاذبية الحب الخطأ التي لا تُقاوم؟!

لا أدري.. كل ما أعرفه أنني لازالت أرتجف كلما تذكرت نظراته لي.. لا، لم تكن نظرات شغف فاضحة..

كانت نظرة غامضة.. عميقة.. تخبرني بانجذابه لي ومقاومته في ذات الوقت..

حاولت تجاهله وتجاهل النظر إليه لكل ما أعرفه عنه، لكن لم يكن هناك مفر من تلاقي أعيننا ولو صدفة، ليخفق قلبي بقوة غريبة تقطع أنفاسي وتدفع الحرارة لوجنتيّ..

لا أدري ماذا كان يرى في عينيّ! أنفس النظرة التي أراها أنا في عينيه؟ أيعرف بانجذابي اللا إرادي له؟

كنت سعيدة بداخلي لانجذابه لي.. كان شعورًا خجولاً من بين مشاعر عديدة بالذنب والإثم.. لا أدري كيف انتهى الأمر بيننا بشكل حاسم وكل هذه المشاعر تموج بداخلي نحوه..

ربما بسبب ذلك الموقف الصغير الذى حدث بيننا.. فقد تأخرت يومًا في مكتبي بسبب تراكم العمل حتى انصرف أغلب زملائنا، لم أتوقع قط أن تتلاقى دروبنا بالرغم من تمنيّ لذلك. كنت في غرفة الحسابات أُنهي بعض الأشياء عندما خرج المحاسب الوحيد الذى لم يغادر بعد ليحضر لي ملفًا من الخزنة، فانشغلت بمراجعة بعض الأشياء على شاشة الحاسوب حتى سمعت صوت عودته، التفتُّ أهمّ بسؤاله عن الملف، لأجد عيني (خالد) هي التي تصدمني ثم تحتضنني بسرور من مفاجأة رؤيته لي..

تسمرت ساقاي ولم أستطع الحراك غارقة في نظراته بنشوة.. ونعومة..

وأخيرًا خرج عن صمته ليقول بهدوء خافت:

- ظننتكِ غادرتِ.

حاولت الابتسام وأنا أقول:

- سأغادر بعد قليل.

ساد الصمت لحظة قبل أن يتقدم نحوي خطوة.. شعرت حينها أنني توقفت عن التنفس وأن الأرض تميد بي.. دون أن يحدث أكثر من ذلك..

دون أن يلمسني سوى بعينيه.. وفي جزء بعيد بداخلي كنت أدرك أن مظهري الآن ليس مكتمل الأناقة والكمال بعد ساعات طويلة من العمل.. لكنه كان ينظر إليّ كأنني أبهى شيء في الوجود!

أردت الابتعاد وأنفاسي تتعثر بجهد في صدري، حتى أوشكت على الانهيار بكاءً أو حبًا!

لم أتلقَ من قبل هذا الكمّ المركز من نظراته.. وبهذه المباشرة، وهذا الجهر!

حينها قال لي الكلمات التي أخبرتك بها.. هكذا فجأة: "أتعلمين ماذا أرى عندما أنظر إليكِ؟ عندما أرى نظراتكِ البريئة الناعمة؟ أرى وعدًا بالإغواء وبكل ما أحلم به.. أرى أنوثة نساء العالم أجمع تتهادى في ابتسامة على شفتيك.. أما صوتك فموسيقى عذبة تبعث الرجفة في جسدي".

حينها همست باسمه مرتجفة فزعة وساقاي تتهاوى حتى استندت للمكتب ورائي، فهمس متابعًا: "تمامًا.. كما حدث لي الآن عندما نطقتِ اسمي برقة.. وهمس".

ازدادت خفقات قلبي ذعرًا، وطغى خوفي على أي شعور آخر بداخلي في تلك اللحظات.. شعرت برعب غريب عندما رأيت في عينيه نيته في الاقتراب مني، وتبخرت كل مشاعري الحالمة في الهواء وأنا أستجمع تركيزي لأقطع خطوته القادمة قبل أن تبدأ..

تحركت بسرعة، ربما بشكل أخرق.. لكني لم أهتم، فقط ابتعدت وأسرعت بمغادرة الحجرة ومن ثم المكتب كله وأنا أرتجف..

كنت أحبه.. أحبه!

وملأت الدموع عينيّ..

لا أدري لِم بكيت، لأنني ابتعدت فعلاً؟ أم لصدمتي بالموقف ككل؟!

لا أدري ماذا كان ينوي إن تركته يقترب خطوة واحدة أخرى مني.. أتراني بالغت في تفسير ما رأيت على وجهه؟

أكان رعبي السبب في إرباك الموقف بيننا؟

لكن لا.. فالموقف كان مربكًا وصادمًا حد العذاب قبل ذلك بكثير..

فقط عندما تحول الخيال لحقيقة أمامي ذُعرت وهربت..

obeikandi.com

هربت من نفسي قبل أن أهرب منه..و هربت لأني أعرف أنه لا مستقبل لنا إلا على أشلاء أسرته!

على الأقل هذا الشيء الوحيد الذى عرفته في دوامة مشاعري المجنونة نحوه، لا أدري كيف واصلت العمل في تواجده بعد ذلك.. فقط حرصت أشد الحرص على منع تقاطع دروبنا ولو صدفة.. وكأن كل ما حدث كان حلمًا بعيدًا مضى.

إلى أن أتتني الصدمة دون توقع.. فقد ترك العمل تمامًا وانتقل لمكان آخر!

علمت بذلك يوم تركه الفعلي للعمل.. آخر يوم سأراه..

آخر يوم سينظر لي..آخر يوم في قصتنا المجنونة اليائسة كلها..

آخر يوم!

كيف منعت بكائي؟ لا أدري!

كيف بدوت طبيعية.. لا أدري أيضًا!

تجنبت النظر إليه حتى في هذه اللحظات كي لا أنفجر بالبكاء، فقط هي نظرة أخيرة له قبل أن يرحل تمامًا.. نظرة تلاقت فيها أعيننا في وداع أخير.. رأيت فيها كل مشاعره، ورأى فيها قلبي المذبوح.. ورحل.

وانتهت القصة، محال أن تأخذ مساحة أكبر من ذلك في حياتنا، فلا أستطيع أن أكون رقم اثنين في حياة حبيبي.. لا أقبل أن أكون إلا الرقم الوحيد! لكن أيضًا لا يمكنني فعل ذلك على حساب أسرة كاملة.

لا أدري ما الذي حدث إذن مع (خالد).. أو لماذا!

لا تسألني.. فحقًا لا أدري..

كل ما أدريه وأحسه وأعرفه أن أحدًا لم يتوغل في مشاعري مثله.. وأنه بكلمات قليلة قرأني وأعطاني ما أريد وأحتاج.. وبصوته فقط غازلني من رأسي حتى قدمي!

كنت أرقص كثيرًا أثناء وجوده في حياتي.. أرقص رقص امرأة تحب، ويسري هذا الحب في كل جسدها.. كنت أجمع شعري فوق رأسي بيدي وألتفت قليلاً للمرآة، فتعجبني لمسة الإغراء في هذه الحركة وأفكر فيه.. أريد أن أمنحه نظرتي هذه.. أريد أن أرقص له.

لن أكذب عليك..

فحتى الآن أتمنى أن أراه.. ولو صدفة.. ولو للحظة واحدة.. أن أنظر فقط في عينيه مرة أخرى.. حتى أثناء خطبتي لـ(هشام).

تمت خطبتي لـ(هشام) بعد عام من انتهاء قصتي مع (خالد)، بكيت عدة أشهر لكنّ الحياة استمرت كما تعلم، ولعل (هشام) أصبح سببًا أكبر لحيرتي التي أنا عليها حتى الآن.

أحيانًا أفكر أن المرء لا يتعرف على أشخاص جدد إلا كي يتعرف أكثر على نفسه هو.

بدأت قصتي مع (هشام) بنعومة وسلاسة، كنت لازالت جريحة الفؤاد من فراقي لـ(خالد)، فتسلل لي صديقًا في البداية.. لم أقص عليه شيئًا من أخبار قلبي، لكن علاقتنا توطدت بشكل ما حتى تحولت لطلب زواج رسمي، ووافقت عليه، وافقت لأنني أحببته.. ولأنني أعلم أن (خالد) فصل منتهي في حياتي دون أن يبدأ، وقد اعتدت على تقبل الواقع والتكيف معه.

ومع الخطبة عادت مشكلتي الخفية للظهور.. تحوُّل الخيال لحقيقة.. والفزع الذى يستولي عليّ جراء ذلك.. (هشام) يحبني.. أعرف هذا بالرغم من انزعاجي بسبب نظراته التي تكاد تلتهمني كلما أنفرد بي..

لكنّ شيئًا ما كان مفقودًا بيننا.. وأنا فقط التي أشعر بذلك كما بدا، فقد كان حبي له هادئًا جدًا، ليس به التوهج والحرارة اللذين أشعلهما (خالد) بداخلي، في علاقة لم تتعدَ نظرات العينين.

جربت معه وجوه شخصيتي كلها تقريبًا.. ولم يطرأ تغير كبير في علاقتنا أو مشاعري نحوه.. حتى جربت قليلاً من الجانب الأنوثي بداخلي، والذي كنت قد كبحته لسنوات في تعاملي مع العالم الخارجي، ولم أعد أظهره إلا في رقصي الحالم..

كنا نتحدث صدفة عن الموسيقى، لا أدري ما الذي قاد الحديث لهذا، لكن فكرة أن أجرب معه شيئًا من أنوثتي أغرتني بشدة لأرى رد فعله.

سألته فجأة وصوتي ينخفض بنعومة وخجل:

- أتحب الرقص؟

بدا مندهشًا لسؤالي، وسأل دون أن يتخلى عن هدوئه:

- أي رقص تعنين؟

هززت رأسي قليلاً لأبعد خصلات شعري عن عيني في حركة بها إثارة عفوية، وأنا أقول:

- الرقص الذى ترقصه المرأة لحبيبها.

كدت أضحك حينها على ارتباكه اللحظي، قبل أن يستجمع هدوءه ويقول بحزم وشيء من الحدة:

- لا أحب أن تتكلمي بهذه الطريقة مرة أخرى!

- لكني لم أتكلم هكذا إلا معك، ولا أسأل عابر سبيل هذا السؤال!

- ومع ذلك لا أريدك أن تتحدثي هكذا مرة أخرى كي لا تثيري ريبتي!

-ريبتك؟! أستشك أنني أعمل راقصة في أوقات فراغي مثلاً؟

-من فضلك! قلت لا داعي لهذا لحديث، أنتِ أكثر تهذبًا ورقيًا من ذلك!

فصمتُ.. صمتُ لأني لم أعرف بماذا أرد عليه، ذلك الخطيب الذى يحاول لمسي باستمرار ولا يخجل من توجيه النظرات الوقحة لي؛ يستاء بشدة لمزاح

obeikandl.com

صغير يحوي شيئًا من الدلال كي لا يرتاب في خطيبته العفيفة ويشك في سلوكها!

تذكرت حينها أيضًا عندما نظرت مرة طويلاً للسيجارة التي في يده حتى سألني ساخرًا: أتودين التجربة؟

فقلت ببساطة لا تخلو من المرح: ولِم لا؟ ربما عليّ تجربة الشيء لأعرف إن كنت أريده حقًا أم لا!

فاحمر وجهه غضبًا بصورة مباغتة وهو يقول: لو فكرتِ يومًا في ذلك فاعتبري كل ما بيننا منتهيًا! وهذا أمر لامزاح فيه!

فاجأني غضبه..

ولأني لم أرغب في التدخين حقًا مررت الموقف بمرح ومزاح.. لكنني بدأت أفكر من جديد في (هشام)..

أفكر في نموذج سي السيد الكامن في الكثير من الرجال.. لا بأس من وقاحته هو.. من خطئه هو.. من حتى خيانته هو.. لكن المرأة لا!

ولو أظهرت فقط دلالها وأنوثتها له وحده.. فهذا دليل كافٍ على انحرافها الكامن، ومن يدري هل أظهرت ذلك لآخرين قبله أم لا!

لا تسئ فهمي.. فأنا لا أريد مساواة في الخطأ.. أريد فقط مساواة في العقاب!

أصبح أكثر ما يستفزني في (هشام) تفكيره هذا، مما باعد أكثر بيني وبينه، وجعل فكرة زواجنا والسماح له بالاقتراب مني أمرًا مفزعًا بكل المقايس.

أردت فعلاً أن أحبه بعنف.. بحرارة، لكن لم أستطع.

طلب مني يومًا ساخرًا عندما علم أنني أهوى الرسم أن أرسمه، أو أرسم صورة لنا!

فابتسمت ساخرة أيضًا بصمت ولم أُجب.. لم يكن ليُعجبه رسمي لنفسي كراقصة حالمة.. ولن يعجبه بكل تأكيد رسمي له كرجل أمام مائدة طعام، يبدو عليه الرقي وفي عينيه نظرة نهم بشعة.

حاولت أن أقرأ في العلاقات الزوجية من باب تقريب الأمر لنفسي، لم أستطع يومًا أن أتصور هذه العلاقة دون حب، فحتى في فترة المراهقة كنت أستغرب من زميلاتي اللاتي يشاهدن أفلامًا أو صورًا إباحية، فما الفائدة أو حتى المتعة من مشاهدة مثل هذه المناظر الحيوانية المنفرة؟ كنت أتقزز حقيقة إن وقعت عيني صدفة على شيء من هذا.. فأين الإحساس؟ أين الحب الذي يُحرك المشاعر؟ كيف تتحرك مشاعر إنسان لرؤية مشاهد كهذه؟

لا أدري.. هكذا كنت أفكر حقًا ولازلت.. فالجانب الأهم في هذه العلاقة هو الإحساس والحب الذى يثير هذه المشاعر، وليس مجرد محرك حيواني!

وبتُّ أفكر إن كان حب (هشام) لي حبًا حقيقيًا أم مجرد رغبة رجل في فتاة جميلة..

بشكل ما لم أستطع أن أقتنع بأن (هشام) يعرف فعلاً ما هو الحب الحقيقي، كما لم أقتنع أيضًا بأني أستطيع السماح له بلمسي.. وهكذا انفصلت عنه.

لم يكن الأمر بسيطًا لاعتبارات أسرية واجتماعية عديدة، لكن رغم كل حيرتي كنت أدري شيئًا واحدًا على الأقل.. إن (هشام) ليس الإنسان الذي أريد.

أردت أن آتي لك سيدي قبل أن أتخذ قراري هذا لكني ترددت.. أردت أن أتحدث معك وأخبرك بكل شيء لتنصحني..

فلا أستطيع التحدث بصراحة مع أي شخص إلا معك.. مع شخص لا يعرفني.. ولايهمه أمري بشكل خاص..

(هشام) إنسان جيد.. طموح وذكي ومتفوق.. مستقبله واعد.. ويحبني بشكل ما.. لابد أن حياتي معه كانت لتصبح مقبولة أيضًا بشكل ما، ومع ذلك تنازلت عنها لأجل حرارة مفقودة، ولأجل أفكار مجتمع كامل وليس هو وحده، فهل هذا جنون مني؟ غباء؟!

لا أدري..

أنا في الثامنة والعشرين من عمري الآن.. وبدأ لقب عانس يحوم حولي، يقاومه شكلي الجميل المتأنق، فلم يلقِ أحد التهمة في وجهي مباشرة، لكني أراها في عيون أسرتي والمجتمع.. وفي كلمة "عقبالك" التي لا تتوقف!

أتيت لك الآن سيدي لأن هناك عريسًا آخر تقدم لي ويجب أن أتخذ قرارًا بالقبول.. نعم.. والداي لن يقبلا الرفض مطلقًا!

لكني أشعر أن هذا العريس نسخة أخرى من (هشام).. اتزان وهدوء خارجي، ونظرات تلتهمني عندما لا ينتبه أحد.. لا أدري هل سأعثر مجددًا يومًا على نظرة تجعل قلبي يخفق حبًا وحرارة وليس توترًا وفزعًا أم لا!

هل أنتظر تلك النظرة وذلك الشخص أم أقبل بالأمر الواقع وأحاول التكيف معه، كما أستطيع أن أفعل، لكن.. لا أريد!

وهل سأتوقف عند التعرف على أي شخص جديد عن هوس التفكير في إن كان هو محرك قلبي أم لا؟

كل هذه الحيرة بسبب إحساسي بأنوثتي التي أريد إهداءها لرجل أحبه ويريدها.. لا أن يعتبرها دليل عارٍ وانحراف..

لرجل أحب أن أرقص له.. وأخطو على أوتار مشاعره.. لتمتزج نغمات قلبه مع نبضات جسدي.. دون خوف أو شك..

هل أحلم أكثر مما ينبغي؟ هل لازلت مراهقة التفكير؟

لا أُخفي عليك عندما أتيتُ هنا، وقبل أن أراك.. تمنيت أن أجدك شابًا عازبًا، فتسمعني وتقرأني وتطويني وتبدأ معي صفحة جديدة بحبر قلبك، وتكون ضالتي المنشودة!

أحلام مراهقة! ألم أقل لك؟

ماذا ترى إذن، سيدي الطبيب؟ وماذا أفعل في نفسي؟

أيمكن أن يكون سبب جنوني هذا تجربتي مع (خالد)؟ مع مشاعر لم يمنحها لي رجل غيره؟ أمازال يسكن بداخلي طوال هذه السنوات دون أن أدري؟ يسكن في وجداني وإحساسي وأنوثتي؟

أتظن أنني لو...

"آنسة.. حان دورك، تفضلي".

أجفلت بغتة على صوت الممرضة ينتشلها من أوهامها، نهضت مرتبكة حائرة، وبدا الملل على الممرضة وهي ترمقها بتردد وتوتر، فلابد أنها رأت الكثيرين في مثل حالتها..

"شكرًا سيدتي.. لكنني.. تذكرت موعدًا هامًا ويجب أن أنصرف الآن.. وداعًا".

وأسرعت بالمغادرة هاربة من نظرة الممرضة التي تتهمها بالجنون بعد ساعتين من الانتظار!

عادت لمنزلها وتوجهت لغرفتها هاربة من سؤال والدتها المحتوم عن قرارها، أغلقت بابها.. أدارت المسجل.. وأخذت تدور وترقص مغمضة العينين.

***

أغلقت شاشة الحاسوب وأخذت تدور وتتمايل مغمضة العينين كبطلتها دون موسيقى، تظلّ دومًا تلك القصة القصيرة؛ (إحساس)، أقرب أعمالها لقلبها.. ليس فقط لأنها لم تُخيب آمالها وحققت نجاحًا واسعًا مع أول مجموعة

قصصية نشرتها منذ خمسة أعوام، لكن لأنها وضعت فيها بعض روحها.. بعض أنوثتها، ومشاعرها الجامحة التي لا تيأس من العثور على "خالدها".

رنين الهاتف بنغمته الرتيبة أخرجها من رقصها الصامت، والاسم الظاهر على الشاشة المضيئة يخبرها أنها ليست صدفة، فها هو كالعادة يرفض رقصتها وحلمها ويعيدها للواقع بوتيرته الهادئة.

أجابت:

- أهلاً يا (وائل)، هل وصلت؟

أتاها صوته الهادئ:

- نعم يا (مريم)، لا تتأخري.

- أكيد.

وضعت الهاتف في حقيبتها ونظرت لصورتها في المرآة تتأكد من تأنقها، وترتيب خصلات شعرها الناعمة ذات الأطراف الملتوية، المنسدلة على كتفيها وعلى امتداد ظهرها، حدقت بها عينان واسعتان كحيلتان بنظرة واثقة، في وجه نضر عاجي البشرة، بدت أجمل من كل لقاءاتهما السابقة، فهكذا الملكات دومًا.. ترحل بجمال.. تُؤلم برقي.. وتغدر بأنوثة مشتهاه.

obeikandl.com

– **نعم**، بالضبط.. اثنتان بيتزا "سي فود"، حجم وسط.. شكرًا.

أغلقت الخط ووضعت الهاتف على طاولة السفرة بجوار حاسوبها، ثم جلست وهي تلمح إشعارًا برسالة جديدة.

"أستاذة (غادة)...

عملت بنصيحتك وحاولت أن أكون أكثر صبرًا معها...حاولت أن أحتويها كما نصحتِني...لكن لم ألمس أي تغير...مازالت بعيدة عني...لا تتحدث إلا عن ملابسها وشكلها ومنصب والدها المهم...لا أستطيع الاستمرار معها أكثر، لكن لا أريد أن أخسر فتاة من أسرة محترمة مثلها...ماذا يمكنني أن أفعل في رأي حضرتك؟"

أخذت رشفات من فنجان الشاي الأخضر مفكرة، ثم كتبت:

"أستاذ (شريف)

يجب أن تشعر داخلك أنك تريدها في حياتك، رغبة نابعة من قلبك وليس عقلك فقط، لأن.."

رفعت عينيها عن الشاشة وهي تسمع صوت فتح باب المنزل، دخل زوجها وقال ما إن رآها:

- أنسيتِ أنني سأعود مبكرًا اليوم؟! طبعًا نسيتِ مادمتِ جالسة هكذا كالعادة تحلين مشاكل غيرك وتجلبينها لنا، وهل يا تُرى الغداء جاهز أم لا؟!

رمقته بنظرة منزعجة باردة، وقالت:

- نصف ساعة وستصل البيتزا.

- قلت لك مائة مرة إنني لا أحب البيتزا على الغداء! ليست طعامًا!

ردت بنفاد صبر:

- (زيد) و(رزان) أصرا عليها، إذا أردت خضارًا ولحمًا وأرزًا انتظر ساعتين ولا تستعجلني كما تفعل دائمًا، "الشغالة" كانت هنا تُرتب البيت طوال النهار وعطلتني عن الطبخ.

رمى بحدة مفاتيحه على السفرة قبل أن يتجه لغرفة النوم، رمقت بضيق ظهره المبتعد، قبل أن تذهب للمطبخ تبحث في الثلاجة حتى وجدت قطعة مكرونة بالباشميل متبقية من الأمس، ستضعها له عند وصول البيتزا لعلّ غضبه يهدأ ولا يهددها بمنعها من الخروج غدًا مع صديقاتها، فقد رتبت كل شيء واتفقت مع أمها أن تترك معها طفليها (زيد) و(رزان)، لتأخذ حريتها ساعات قليلة مع رفيقات الجامعة.

أزاحت حاسوبها لآخر السفرة وجلست بجانب زوجها هي والطفلان يأكلون معًا، وأخذت تحادثه وتمازحه بمرح حتى يعتدل مزاجه المتعكر، ولكن دون نتيجة ملحوظة، لم يضايقها هذا فهي تعرفه جيدًا، وبعد ست سنوات زواج حفظت عاداته ومزاجاته كلها، (ماجد) زوج طيب وكريم، سريع الغضب لكنها

obeikandl.com

تعرف أفضل طريقة لمصالحته ولعدم إلغاء خروجة الغد، فبعد تناول الطعام وانشغال الطفلين باللعب، اقتربت منه بابتسامة رقيقة ناعمة فلان وجهه باستجابة سريعة، وجذبها لغرفتهما وأغلق الباب.

سارت في أروقة الجامعة الصباح التالي تشعر بالبهجة والخفة، كانت هي وصديقاتها يجدن دائمًا حجة يعبرن بها من أمن الجامعة ويلتقين داخلها بحس مغامرة طفولي، فمرة بحجة استخراج أوراق من شئون الطلبة، وأخرى بسبب التقديم لتحضير الماجستير، وأحيانًا لإجراء استطلاعات رأي للطلاب، مستغلات كارنيهات العمل القديمة التي نادرًا ما عملن بها بعد تخرجهن من قسم علم النفس والاجتماع.

وصلت مكانها المفضل بجوار قصر الزعفران، فوجدت أن (منال) سبقتها وكانت مشغولة بالتحدث في الهاتف. تقدمت نحوها بسرور تتأملها وثقتها بنفسها وجمالها تزداد، بدت (منال) كما هي عادية الشكل والملبس، بوجه باهت خالٍ من التبرج وتايير بعيد عن الأناقة، أما هي فقد حافظت على أناقتها المعروفة منذ أيام الكلية، وجمال وجهها الراقي الذي لم يؤثر فيه حجابها، فرغم أنه أخفى شعرًا كشلال من حرير فاخر، لكنه أبرز بشكل أكبر اتساع عينيها ووجهها الوضاء، كما أخبرها الجميع.

- ما شاء الله.. لا تكبرين أبدًا.

استقبلتها (منال) بهذه الجملة مرحبة وابتسامة صافية تملأ وجهها، عانقتها (غادة) بمودة وقالت:

- حبيبتي يا (منولة)، دومًا ترفعين من روحي المعنوية.

ضحكتا قليلاً، وعادت (غادة) تسأل:

- ألم تأتِ (هند) بعد؟

تطلعت (منال) خلفها وقالت:

- أظن أنها تلك التي تتقدم نحونا، سبحان الله تبدو مختلفة كثيرًا!

التفتت (غادة) تنظر لـ(هند) بفضول، بدت مختلفة فعلاً، فبدلاً من الملابس الفضفاضة الداكنة اللون والطرح الكبيرة، تقدمت نحوهما ببنطال جينز ضيق وبلوزة مشدودة عليها تُبرز مفاتنها، مع احتفاظها بلفة طرحة أنيقة للوراء تُظهر مقدمة شعر مصفف بعناية وقرطين لامعين يلائمان سلسلة عنقها.

- ماذا حدث في الدنيا؟!

هتفت (منال) و(هند) تتوقف ضاحكة كأنها تستمتع بذهولهما، قبل أن تقول:

- باتت أكثر جمالاً!

ضحكت (غادة) وعانقتها وهي تقول:

- ما هذا التغير المفاجئ؟ تبدين جميلة للغاية.

وجدت وجه (منال) يعبس قليلاً وكأنه لا يشاركها الرأي، لكن (هند) قالت ببساطة:

- طُلقت!

هتفت (منال):

- لا حول ولا قوة إلا بالله! متى؟

- منذ بضعة أشهر.. لكن قبل أن أحكي لكما، أين (مريم)؟ ألم تصل بعد؟ لن أعيد القصة مرتين!

قالت (غادة) وهي لم تستوعب بعد التغيرات المفاجئة في حياة (هند):

- غالبًا لن تأتي، لديها موعد هام اليوم.

قالت (هند) بسخرية:

-يا سلام! باتت الآن كاتبة كبيرة ومشهورة وتتكبر علينا!

- توقفي عن المزاح يا بنت وأخبرينا ماذا حدث؟ وكيف حدث؟

- حاضر، نجلس أولاً.

مشين حتى مقعد حجري عريض تحت ظلال شجرة وارفة الأغصان، وبدأت تخبرهما عن المشاكل التي تزايدت بينها وبين زوجها السابق، وتزمته البالغ وغيرته الخانقة، حتى باتت الحياة معه مستحيلة وأصرت على الطلاق.

سألت (غادة):

- ألم يعترض أهلك؟

obeikandl.com

وأضافت (منال):

- خاصة أنه بسم الله ما شاء الله ثري وأغرقك في الذهب والهدايا من أيام الخطوبة.

أجابتهما بنظرة ماكرة:

- المؤخر ربع مليون! طاروا من السعادة!

- لا إله إلا الله!!

ضحكت مع (هند) على ذهول (منال)، ونغز شيء كبرياءها، فلم يكن مؤخرها يزيد عن ثلاثين ألف جنيه، رأى والدها حينها أنه مبلغ مناسب تضعه العائلات المحترمة؛ غير الطامعة في أموال العريس، والمتأكدة من تربية بناتها.

تعلم أن (هند) من بيئة مختلفة، مجتمع شعبي بسيط، حلم أي فتاة فيه عريس ثري يتزوجها وينتشلها هي وأسرتها من الفقر، وتحقق هذا الحلم لصديقتها بزواجها من صاحب مصانع ملابس ثري يكبرها بعشرين سنة، والآن حتى بعد طلاقها لم تخسر حلمها.

قالت أخيرًا:

- المهم أن تكوني سعيدة.

- سعيدة فقط؟ سعيدة وحرّة وملك نفسي دون تحكمات أو أوامر، أبي وأمي يعاملانني بمنتهى الحب والاحترام، فأنا من أصرف على البيت الآن.

ابتسمت (منال) قليلاً وقالت:

- ربنا يُسعدكِ ويُعوض عليكِ بابن الحلال.

- لا شكرًا، على الأقل ليس الآن.. أريد الاستمتاع بحياتي وبكل ما حُرمت منه منذ طفولتي، الزواج لا يُسعد المرأة يا (منال)، المال هو فقط سبب السعادة، أنتِ لأنك لم تتزوجي بعد تظنينه أجمل مما هو عليه بكثير!

بدا تحرج مع خجل على وجه (منال)، فقالت (غادة) بسرعة:

- لا تصدقيها يا (منال)، إنها مُعقّدة من الزواج.

ضحكت (هند) عاليًا وقالت:

- يا سلام! طيب يا (غادة).. سأريكما أنني أفضل منكما وأعزمكما على غداء وسينما أيضًا! أريد أن أصرف وأُبذّر معكما مرة من نفسي.

- موافقة.

جاوبتها (منال) دون تردد، أما (غادة) فقالت بضيق:

- يجب أن أعود بسرعة لآخذ الأولاد من عند ماما، غداء ممكن.. سينما مستحيل! باتت من الممنوعات منذ زمن!

تمتمت (منال) بابتسامة جانبية:

- حفظهما الله لكِ.

obeikandl.com

نهضن يتناولن حقائبهن ويتمشين بهوادة دون استعجال، تنشقت (غادة) رائحة الربيع التي لم تخبرها إلا هنا، مع هذه الأشجار المزهرة السخية في ظلالها، والعشب النضر الرائع الخضرة، دُرن حول حمام السباحة الكبير الذي كان خاويًا عادَّة، ليجدنه ممتلئًا هذه المرة ويعكس بنعومة أشعة الشمس.. تمنت لو أحضرت معها كاميرتها لتُصور هذا المشهد. سألتها (منال) فجأة:

- ما أخبارك مع حل المشاكل العاطفية عبر الإنترنت؟ أتجدينه مفيدًا؟

فكرت (غادة) وهي ترد:

- أحيانًا.. لكنه مسلٍ بالتأكيد.

(هند):

- هل الأمر مربح؟

ضحكت (غادة):

- بل مجاني تمامًا!

- مجنونة! تُضيّعين مؤهلاتك دون مقابل!

قالت (منال) بسخرية:

obeikandl.com

- ومن منا عمل بشهادته؟ ست سنوات ولا أجد عملاً سوى سكرتيرة، حتى مهنة المُدرسة يفضلون فيها خريجات كلية التربية، وليس آداب مثلنا، الحمدلله.

(غادة):

- على الأقل في صفحتي على الإنترنت يعاملونني بتقدير واحترام باعتباري خبيرة نفسية على دراية بكل ما يدور في خلدهم.

- كقارئة الفنجان!

قالتها (هند) مستغرقة في الضحك، فشاركتها (غادة) الضحك في البداية مجاملة قبل أن تنتقل العدوى لـ(منال)، ويغرق ثلاثتهن في الضحك.

مرّ النهار بسرعة شديدة رغم استمتاعها به، صرفت (هند) وبذّرت كما تريد في جو مرح ساخر، أردن استخلاص كل ذرة حرية وسعادة في هذا النهار بروح طالبة جامعية لم تبلغ العشرين بعد.

ومع نهاية النهار هبطت (غادة) لأرض الواقع وهي تُودّع صديقتيها قبل ذهابهما للسينما، وقفت تنظر إليهما وهما تبتعدان، ورغم الاختلاف الواضح في مظهرهما الخارجي، إلا أنهما تشابهتا بشدة في ابتسامة خالية من الهموم، وخطوات تتهادى بخفة لا تربطها سوى موعد بدء الفيلم.

***

دخلت منزلها بعد ساعتين مع طفليها، وسمعت صوت ضحك وحديث زوجها في الهاتف:

- يا لئيمة! كيف عرفتِ؟ لا، لا.. إياكِ أن تخبري (أنور).. سأجعله يدور حول نفسه من الصدمة! لا طبعًا لا يهمني غضبه.. هذا العميل كان معي من البداية وهو سرقه مني أولاً.. نعم؟ هههه.. لا تلعبي دور الواعظة معي الآن.. هل أحكي لك تاريخك؟! هههاه.. أرأيتِ؟ أعلم كل شيء.

زفرت بحدة وسأم وذهبت لغرفتها بعد أن أدخلت الطفلين سريريهما، نزعت طرحتها وبعضًا من ملابسها قبل أن تُسدل شعرها وتُخلل أصابعها فيه تمنحه بعض الحيوية ليتنفس بعد خنقته طوال النهار..

تنهدت تنهيدة ثقيلة أمام المرآة.. شعرها البني الحريري وعيناها العسليتان في وجه يجذب الأنظار دوماً بجماله، ويخبرها أنها لم تختلف كثيرًا عما كانت قبل ست سنوات، فلماذا تشعر فجأة أنها كبرت عشرين عامًا؟

- متى أتيتم؟ لم أسمعك.

دخل (ماجد) الغرفة، فردت ببرود وهي تبتعد عن المرآة:

- لأنك كنت تحكي لـ(نيفين) هانم تاريخها! أم هي (سمر) هذه المرة؟

- ألم تملّي؟! أخبرتك مليون مرة أنها مكالمات عمل! توقفي عن التفاهة.

نظرت له بكبرياء غاضب وقالت:

- تعرف جيدًا أنني لست تافهة يا أستاذ!

قال وهو يقترب منها:

- لو لم تكوني بهذا الجمال لعلّقتك في النجفة بسبب نظرتك المتكبرة هذه.

دفعت يديه عندما أراد إحاطتها بهما، وقالت:

- وأنا أخبرتك مليون مرة أنني لا أحب أن تُحدثني بهذه الطريقة، كيف تتوقع مني بعدها أن أكون متجاوبة وسعيدة معك؟!

- يا الله! كل هذا بسبب مكالمتي مع (نيفين)؟! أيجب أن تُنكّدي علينا في كل مرة أتحدث فيها في الهاتف؟ إنهن زميلاتي في العمل.. عملي الذي أكسب منه الكثير وأحقق لسموك كل طلباتك.

- و(سمر) و(نيفين) و(عبير) هنّ مدراؤك، أليس كذلك؟!

قال غاضبًا:

- أتعلمين؟! لقد سددتِ نفسي!

وخرج من الغرفة خابطًا الباب خلفه بحدة، التوت بسمة جانبية على وجهها.. تعلم أنه سيعود مجددًا ليتودد إليها بعد قليل، تناولت هاتفها من الحقيبة، عليها أن تتصل أولاً بـ(مريم) لتطمئن على أخبارها، تعرف أنها دائمًا أقل المتحمسات للقائهن السنوي لأنها لم تهتم بتوطيد صداقتها إلا معها هي، فلطالما كانتا مقربتين منذ السنة الأولى في الكلية وحتى الآن.

اتصلت بها لكن لم تتلقَ إجابة، فتنهدت بحيرة.. لماذا يا ترى كانت تُولي كل هذا الاهتمام للقاء خطيبها اليوم؟

رأت نظرة قلقة في عينيه وهو يتأملها، تعلم أنها تبدو مختلفة معه الفترة الماضية، وهو لم يبذل جهدًا واضحًا لتقريبها منه من جديد، لم يترك لها كثيرًا من الخيارات، وبدأت قائلة:

- كيف ترى الحب يا (وائل)؟

استغرب سؤالها، ورد بعد ثوانٍ من الحيرة:

- الحب له معانٍ كثيرة، لا أعرف ماذا تقصدين تحديدًا، لكنني مثلاً أحبك.. وأحب أن أراكِ سعيدة، وأفعل ما يجعلك سعيدة.

ابتسمت قليلاً وهي تعض شفتها السفلى، ثم قالت:

- ليس شرطًا أن يرتبط الحب بالسعادة، بل غالبًا ما يحدث العكس، أتعلم كيف أراه أنا؟

رمقها بتساؤل متوجس، فأكملت:

- كنيران في مدفأة جميلة.. تُغريك بالاقتراب منها وتذّوق نيرانها، بعض الناس يكتفون بالوقوف على أطراف النيران.. يتسلون بوهجها.. بشررها الجذّاب دون أن يقتربوا كثيرًا، ثم يحكون بسعادة عن مغامراتهم معها.

والبعض الآخر يكتفون بتأملها من بعيد بشوق ولهفة، يتمنون لو تواتيهم شجاعة التجربة!

لكن هناك آخرين يسيرون إليها مغمضي الأعين حد الاحتراق.. حد الفناء رمادًا.. فيصيرون جزءًا منها.

أما أنا فأحبها كثيرًا.. أمتزج بها دون أن أتحول لرماد! أراقب احتراق الآخرين وأتسلى بمعرفة قصصهم.. وكثيرًا ما أبتكرها لهم!

أطوف حولها.. أتأملها.. أتعرف عليها أكثر لأنقل حرارتها لأوراقي.. بيننا صلة مميزة.. وغرام خالص بها، وليس بما ستوصلني إليه.

ساد الصمت طويلاً قبل أن يقول محافظًا على هدوئه بصعوبة:

- لا أعرف ما قصدك تحديدًا من هذا الكلام!

مالت قليلاً على الطاولة أمامها وابتسامة عابثة متسلية على وجهها:

- أتعرف مما تخشى كل بنت مقدمة على الزواج يا (وائل)؟ تخشى أن تكتشف أن مدفأتها الجميلة مجرد لمبة جاز! وهج ضعيف.. لا حرارة ولا احتراق.

- (مريم)! أتقصدين إهانتي؟!

أطلقت ضحكة ناعمة وسألته:

- أتعترف أنك لمبة جاز؟

هبّ واقفًا بغضبه الوقور، وقال:

- أنتِ غير طبيعية! وقد تحملتكِ كثيرًا أنتِ ومزاجك ومشاعرك المتقلبة، يؤسفني أن تأتي النهاية بيننا بهذا الشكل، لكن لا شيء يجبرني على تحملك أكثر.

خلع دبلته ووضعها على الطاولة أمامها قبل أن يستدير مبتعدًا، راقبته صامتة وهو يغادر المطعم، وابتسامتها تذوي شيئًا فشيئًا.

عادت لمنزلها بشجن طفيف، اطمأنت على أمها المريضة التي لا تُغادر غرفتها تقريبًا، وبقيت معها يتناولان الطعام ويتسامران قليلاً حتى نامت، دثرتها جيدًا بالغطاء قبل أن تتركها وتعود لغرفتها، جلست أمام حاسوبها الشخصي ونظرت لصفحتها الشخصية على "الفيس بوك" بشرود، قبل أن تكتب:

"قد يعيش الإنسان بذنبٍ.. يجعله ملاكًا"

ونهضت تلقي بجسدها على السرير، سمعت بعد قليل رنين هاتفها، ربما تكون (غادة).. أو لعله (وائل) أفاق من الصدمة ويريد التشاجر معها، أو ربما رقم خاطئ يختار اللحظة المثالية كالعادة.. ربما يكون أشياء كثيرة لا طاقة لديها الآن للتعامل مع أي منهم.

في الصباح التالي كانت أكثر انتعاشًا وتماسكًا، تناولت فطورا خفيفًا مع أمها، ثم بدلت ملابسها استعدادًا للخروج، أطلقت شعرها الحريري الملتوي الخصلات فوق ثوب بلون أبيض مع وردي، وحزام فضي لامع كالسلسلة على خصرها، وجلست تكتب قبل نزولها:

"ربما لا يجيد الحب في زماننا هذا إلا رجل على ورق!

يدع امرأته ترشده وتُعلّمه كيف تريده أن يحبها..

وأي الكلمات تجعله القائد دون أن يدري"

توجهت مباشرة لمنزل (غادة)، كما تفعل في كثير من الأحيان دون اتصال أو إذن، فهي تعرف أن زوجها لا يعود إلا في السادسة، وتبقى (غادة) وحدها معظم اليوم، كما أن لديهما اليوم بالذات الكثير لتقصه إحداهما الأخرى؛ (غادة) بلقائها السنوي الذي لا تعرف لماذا تحرص عليه لهذا الحد، وهي بخبر فسخ خطوبتها الجديد.

الوجه الذي طالعها بعد أن رنت جرس الباب جعلها تتمنى لو اتصلت أولاً!

تجاوزت صدمتها سريعًا وقالت للشاب الجذّاب أمامها:

- (عادل)! يا لها من مفاجأة.

ضحك وهو يترك لها مجالاً للدخول:

- بل أنتِ المفاجأة! ما أخبارك؟

دخلت بتوتر تبحث عن صديقتها بعينيها، وهي تقول:

- بخير.. بخير، آسفة، أتيت دون موعد لكن...

صمتت و(غادة) تظهر لنجدتها وهي تقول بسرور:

- (مريم)! كنت أعرف أنكِ ستأتين اليوم!

واقتربت منها تعانقها، ظهرت من المطبخ (روان) زوجة (عادل) وهي تقول بمزاح رقيق:

- نحن إذن من أتى دون موعد يا (غادة)، أهلاً يا (مريم)، كيف حالك؟

ابتسمت (مريم) قليلاً ترد التحية، وراقبتها تتحرك للوقوف بجوار زوجها الذي أحاط كتفيها بذراعه، أبعدت نظراتها عنهما تعض شفتها السفلى قليلاً بشرود، لا تفهم حتى الآن ماذا يرى (عادل) في تلك الفتاة!

طويلة نحيلة دون تقاسيم أنثوية مميزة، وجه فاتر الجمال، وشعر أسود مستقيم كقطعة إسفلت دون حياة!

كان (عادل) يكبرها بسنتين ويأتي كثيرًا لأخته في الكلية، أُغرمت به بسرعة وتلقائية، فهو شاب وسيم له ضحكة جذّابة وشخصية دافئة، ورأت الإعجاب في عينيه الخضروين.. متأكدة من ذلك.. كان معجبًا بها حتى ظهرت تلك الـ"(روان)" الباهتة ليُحوّل مشاعره إليها فجأة دون تفسير، ويتزوجا خلال عام واحد.

اضطرت أن تنظر إليهما مجددًا و(روان) تسألها مبتسمة:

- هل هناك أخبار سارّة قريبًا؟ هل حددتما موعد الزفاف؟

بادلتها (مريم) الابتسام مجاملة وقالت:

- قريبًا إن شاء الله.

والتفت لصديقتها متابعة:

- انتظرت حتى أشرب النسكافيه معك، هل تأتين معي لنحضّره؟

ردت (غادة) فورًا: طبعًا حبيبتي.

وفي المطبخ قالت (غادة) بصوت منخفض:

- سينصرفان سريعًا وسنكون على راحتنا بعد ذلك.

ردت (مريم) متنهدة:

- لا يهم.

رمقتها (غادة) بفضول وسألت:

- ماذا فعلتِ أمس مع (وائل)؟

صمتت (مريم) للحظات ثم قالت:

- لا أدري.. لا أعرف ماذا أختار: نسكافيه أم كابتشينو!

الأول هادئ رصين.. تعلمين مقدمًا قدر المتعة التي سيمنحك إياها.. نوع من الاستقرار المزاجي لا تخلو خزانتك منه.

أما الثاني.. فلا يمكنك مقاومة رغوته المغرية ونكهته القوية الرائعة..

obeikandl.com

تتوقين له بين حين وآخر.. فتسعين إليه حتى تحصلي عليه، متعته أنه ليس لديكِ طوال الوقت!

أعشق الكابتشينو لكن لا يمكنني الاستغناء عن النسكافيه!

نظرت لها (غادة) دون أن تفهم شيئًا لتقول ضاحكة:

- أنتِ مجنونة! ما رأيك في أنكِ ستنتهين مع كوب شاي! لا نسكافيه ولا كابتشينو!

ردت بانزعاج حقيقي:

- فأل الله ولا فألك!

- طبعًا كوب الشاي بالنسبة لكِ هو زواج الصالونات.

أجفلت وهي تنظر لـ(عادل) يقف على باب المطبخ بابتسامة خفيفة جانبية، لم ترد، (غادة) التي أجابته ضاحكة:

- أسمعت نظرية الكابتشينو؟ لا تقل لي إنك فهمت شيئًا!

أشاحت وجهها عنه وهو يتقدم نحوهما، كانت تعلم أنه سمعها.. وفهمها أيضًا.

- الأمر ليس صعبًا إن تذكرتِ أنها مدمنة قهوة منذ سنوات.

obeikandl.com

تلقى قلبها صفعة مباغتة.. أيقصد ما تعنيه كلماته؟ ربما المشكلة.. كل المشكلة أنه يفهمها كثيرًا.

ردت بهدوء وهي تضع السكر في فنجانها:

- هذه أخبار قديمة، فالقهوة لم تعد تستهويني منذ وقت طويل.

قالت (غادة) بامتعاض:

- لم تستهوني أبدًا، فهي مُرّة وقوية ومُضرّة أيضًا.

تمامًا كالحب من طرف واحد.

سكبت الماء الساخن بحذر ممتنة لعدم ارتجاف يديها أمامه، شعرت بعينيه تتحولان إليها قبل أن يقول:

- بالضبط.

أخذت فنجانها وقالت بابتسامة مشرقة:

- سأسبقكما.

وأسرعت بمغادرة المطبخ.

لم تنعم بالهدوء النفسي حتى غادر (عادل) وزوجته، شردت أفكارها رغمًا عنها..

"مؤلم.. مؤلم جدًا رؤيتكما معًا.. لماذا هي وليس أنا؟

obeikandl.com

أتجدها أكثر جمالاً.. أكثر هدوءًا؟! أكثر مللاً وخنوعًا؟!

لك عمري كله لتُمسك يدي وتنظر لي بحب يومًا واحدًا كما تنظر إليها.. فهل من مشتري؟!"

كانت تعلم أنه يتابع صفحتها ويعرف أخبارها من قبل أن تكون كاتبة معروفة، كتبت هذا على صفحتها بعد أن علمت بخطبته، ولشد ما ندمت على ذلك! فكيف تنسى الحفاظ على كرامتها وتُلحقها بقلبها المجروح؟

- هيا أخبريني يا بنت، ماذا فعلتِ مع (وائل)؟

قالت (غادة) وهي تجلس أمامها على الأريكة، أخبرتها (مريم) بفتور:

- لا شيء.. أنهيت الخطبة، لا أظننا كنا سننجح معًا.

- مجددًا يا (مريم)؟! مجددًا؟! إنها رابع مرة!

- وفّري كلامك، سأسمعه كاملاً من أمي، فلم أخبرها بعد.

- (مريم).. يجب أن تتعاملي بجدية مع هذا الموضوع منذ الآن، لم تعُدي صغيرة.. وفسخ الخطوبة المتكرر هذا يُسيء لسمعة الفتاة أكثر مما تظنين، انضجي قليلاً من فضلك.

ابتسمت (مريم) ساخرة:

- حسنًا يا أبلة "ناضجة"، أخبريني ماذا فعلتِ أنتِ بالأمس؟ ألعبتِ دور الأخت الكبرى أيضًا معهما؟

زفرت (غادة) بحدة وقالت:

- اسخري كما تشائين، فستعلمين لاحقًا أنني محقة وأريد مصلحتك، ثم إنك لا تهتمين لرؤيتهما، فلماذا تسألين عن أخبارهما؟

- معك حق، سأنصرف أفضل.

ونهضت بالفعل، فسارعت (غادة) تقول:

- انتظري!

وأعادتها لتجلس جوارها، وأخذت تحكي لها يومها بالأمس. علقت (مريم) في نهاية كلامها:

- أتعلمين أن (منال) تغار منك؟

- ممّ تغار؟ آه، لأنني أجمل وهكذا؟ أظننا بتنا أكبر من ذلك الآن.

رمقتها (مريم) بنظرة تأمل وقالت بابتسامة خفيفة:

- ليس هذا فقط، متزوجة ولديكِ أطفال ومستقرة في حياتك.

ضحكت (غادة) هازئة:

- ليتها تجرب هذا الاستقرار!

اتسعت ابتسامة (مريم) في صمت، وغيرت الموضوع لتسألها عن صفحتها والمشاكل النفسية التي تُعرض عليها. استمعت لها بعض الوقت وهي تُخبرها

obeikandi.com

عن المشاكل التي كانت أغلبها عاطفية، وتلك الاستشارة الأخير التي جاءت من شاب اسمه (شريف) يفكر في إنهاء خطبته.

حتى وقت مغادرتها ترددت (مريم) - على غير المعتاد بينهما - في أن تسألها إن كانت غير سعيدة أو هناك ما يضايقها، ألا ترى (غادة) أن الحياة سخية معها بشكل فوق المعتاد؟ نشأت في أسرة ميسورة الحال وتتمتع بجمال لافت، تزوجت بعد قصة حب قصيرة برجل حافظ على المستوى المادي الذي اعتادته ورُزقت بطفلين؛ بنت وولد؟!

إنها من المحظوظين الذين أغدقت عليهم الحياة كرمها.. فهل يمكن ألا تكون حقًا سعيدة؟ وبدا من الصعب أن تسألها هذا السؤال.

obeikandl.com

"أستاذ (شريف)..

يجب أن تشعر داخلك أنك تريدها في حياتك، رغبة نابعة من قلبك وليس عقلك فقط، فالزواج لا ينجح إلا بانسجام عقولنا مع مشاعرنا، اسأل نفسك.. أتحبها حقًا؟ أترى فيها سعادتك؟ هذا ما يجب أن تجيب عنه بصراحة وشجاعة"

أرسلت ردها، وتفحصت الرسائل القليلة الباقية، قبل أن تنهض لتُعد الغداء استعدادًا لعودة الطفلين من مدارسهما، فكرت في زيارة (عادل) و(روان) والخبر السعيد الذي انتظراه طويلاً، فقد تجاوزت (روان) الشهور الثلاثة الأولى من الحمل لأول مرة، خمس سنوات حملت زوجة أخيها خلالها ثلاث مرات وفي كل مرة يتوقف نبض الجنين في الشهر الثاني، لكن (عادل) أخبرها أن هذه المرة مختلفة إن شاء الله وسيفرحان بطفلهما.

ابتسمت بحنان حزين وهي تدعو الله أن يُسعده ويرزقه بالطفل الذي يتمناه، لم تُوافق أمهما منذ البداية على هذا الزواج، فـ(روان) من أسرة بسيطة الحال وليست ذات جمال باهر، أما هي فرغم عدم حماسها إلا أنها لم تستطع الوقوف ضد أخيها، خاصةً بعد أن تأكدت من حبه لـ(روان).

أما (مريم).. فتحتاج لجلسة مُطوّلة عندما تهدأ وتُدرك فداحة ما تفعله بخطوباتها السريعة المتعددة، رغم أنها لا تبدو بأي حال منزعجة أو متضايقة مما حدث، فقد أتت مشرقة متألقة بثوبها الأنثوي وعينيها اللامعتين، وكيف لا؟ فقد تحررت من قيد ينتظرها.. قيد يجر معه حزمة متشابكة من السلاسل لن تتمكن من الفكاك منها فيما بعد.

obeikandl.com

دخل (عادل) المنزل مع زوجته والابتسامة مازالت على وجهيهما، كان يتمنى من أجلها قبل أن يكون من أجله هو أن يستمر الحمل هذه المرة ليسعد قلبها بصغير انتظرته طويلاً، فقد عانت كثيرًا خلال السنوات الماضية وتستحق بعض السعادة.

أصرّ عليها أن ترتاح وتنام قليلاً بعد أن بدلا ملابسهما، وخرج للصالة لا يجد شيئًا يفعله؛ فقد أخذ اليوم أجازة ليقضيه معها ويذهبان لأخته لإخبارها كما قررا، ورغمًا عنه اتجهت أفكاره لـ(مريم).. لا يعرف إن كانت لاتزال تحمل نحوه أي مشاعر أم لا، لكنّ شعوره بالذنب لأنه جعلها تظن أن هذا الشعور متبادل يسبب له دومًا نوعًا من التعاطف معها.

لا ينكر أنه أُعجب بها في البداية قبل أن يشعر أنه لن يستطيع التوافق معها، ربما بسبب نشأتها في أسرة مفككة بعد أن تطلق والداها، تبدو بهذا التخبط في مشاعرها، فكم مرة تمت خطبتها وانتهى الأمر قبل أن يصل للزواج، ومن يدري هل ستُنهي خطبتها هذه المرة أيضًا أم لا؟

وهل لو كان خطبها يومًا أكانا سيستمران يا ترى؟ لا يظن.. برغم جمالها وإشراقها الدائمين، لا يظن أنها وحدها التي كانت ستأخذ قرار انفصالهما، فطبيعتها غير المستقرة كانت ستجعله يتخذ نفس القرار بالابتعاد عنها كما فعل مبكرًا، حتى لو مال إليها جزء صغير من مشاعره، جزء فُتن قديمًا

بجاذبيتها المميزة، فالمهم أن مشاعره الحقيقية وعقله بالكامل ملك لـ(روان).. بوجهها الملائكي وطبيعتها الهادئة.. فهي وحدها حبه الحقيقي.

- لم أستطع النوم.

وجد زوجته أمامه فجأة والابتسامة على وجهها، فاقترب منها وهو يقول:

- ما رأيك أن نشرب شيئًا إذن؟ لكن ليس مسموحًا لكِ سوى بالعصائر الطبيعية.

- أعرف، لا تقلق، ماذا ستشرب أنت؟

مسح بشرود شعرها الناعم المنسدل برقة حول وجهها، ثم قال بابتسامة صغيرة:

- كابتشينو.

obeikandl.com

راقبت الغروب بشجن وحنين، شعرت كالعادة بارتياح أكبر بعد أن أصبحت وحدها، حتى ولو كانت (غادة) هي من تصاحبها، أتى زوجها منذ ساعة ليأخذها ودهش لعدم وجود الطفلين معها فأخبرته أنهما عند أمها، حينها لم تكن (غادة) وحدها التي لاحظت نظرة الشغف والسرور في عينيه، رأتها (مريم) جيدًا ورأت معها حبًا لطالما بدى في عينيه منذ أن خطب صديقتها، لكن (غادة) أشاحت وجهها بمزيج من الضيق والخجل، وودعتها بسرعة قبل أن تبتعد معه بشيء من الغضب.

كانت تلمح دومًا بين ثنايا حديثها تذمرًا من أن زوجها لا يفكر إلا في هذا الأمر، قبل أن تُسقط هذه الصفة على الرجال كلهم، ولا تتحدث أكثر في ذلك، ولم تكن (مريم) دون تجربة حقيقية في الزواج تستطيع مجادلتها بقوة في اعتقادها أن حب (ماجد) لم يختلف عن أيام خطوبتهما أو بداية الزواج، فلابد أن (غادة) الأكثر دراية بزوجها وحياتها.

تنهدت بعمق وفتحت صفحتها الإلكترونية من على هاتفها تتصفحها دون تركيز، ترى عدد المعجبين والمعجبات بكلماتها التي نشرتها اليوم.. كانت "لخالدها" كما تفعل عادة..

"أعرف أنني صنعتك.. ابتكرتك.. لكنني حقًا في حاجة إليك

فما أنت إلا حلم امتد من قلبي للورق.. وإني أريدك لنفسي!"

فهل لا يُرضي المرأة حقًا إلا وهمًا في خيالها؟ تنهدت قليلاً وانشغلت بقراءة التعليقات إلى أن أتى صوت فتت قلبها بألم ناعم..

- هل يزعجكِ إن ألقيتُ التحية عليكِ؟

نظرت له بصدمة تُحاول التحكم على فيض من المشاعر المتناقضة تفجر داخلها، فيض من الذكريات أزعجها عدم قدرتها على السيطرة عليه.

ابتسم يراقب انفعالاتها، هذا فقط الذي جعلها تتماسك كي لا تبدو هشة أمامه، ومع ذلك عندما تكلمت بدا صوتها مختلفًا قليلاً وهي تقول:

- (يوسف)! إنها صدفة.. رائعة، ما أخبارك؟

سحب المقعد المواجهه لها وجلس دون دعوة وهو يقول بنفس الابتسامة الجذابة:

- بخير، أخبارك هي الرائعة، لم تُتح لي فرصة تهنئتك على نجاح كتبك.

- شكرًا.

همست بها وهي لا تستطيع أن تُشيح بنظراتها عنه، لماذا بدأ من النهاية؟ ومن أي جزء في خيالها خرج ليجلس أمامها الآن بعد خمس سنوات؟

(يوسف).. أعمق جراح قلبها، خطيبها الأول وحبها العاصف الذي كاد يذيبها فيه، فلا يبقى منها إلا ظِل من حلم لم يتحقق.. لكنها اختارت حلمها. رفض أن تنشر كتاباتها، أرادها بخيالها وشغفها وإحساسها له وحده، أقنعها

لفترة أن ينتظرا لبعد الزواج وهو سيساعدها في أن ترى كُتبها النور، وصدقته وهي تعلم أنه يكذب عليها، صدقته لأنها لا تريد خسران الوحي الذي يمنحه وجوده في حياتها.. الوحي الذي يرفض مشاركة الآخرين له، كان يمكنها أن تتمادى في تصديق كذبه لتبقى معه، لتتلاشى فيه.. وتخسر حلمها.. لكنها لم تفعل.

- فكرتُ أكثر من مرة أن أتصل بكِ لتهنئك، لكن لم أظن أنك ستُرحبين بهذه المكالمة.

ورمقها بنظرة صامتة، فاحتلّ كيانها شوق غامر لعينيه.. لأدق تفاصيله، رموشه السوداء.. عرض كتفيه.. لمسات أصابعه على يديها..

إن لم تكن تحلم فعليها أن تفيق فورًا، عضت شفتها السفلى وهي تُشبّك يديها بقوة، قبل أن تقول:

- بالعكس، كنت سأفرح باتصالك.

استند بمرفقيه على الطاولة بينهما وقال:

- لا تبدين مختلفة كثيرًا عما رأيتك آخر مرة.

همست دون تفكير:

- وأنت أيضًا.

تشابكت نظراتهما مثقلة بالذكرى والوجع، قبل أن ينهض فجأة ويقول:

- لن أعطلكِ أكثر، أردت فقط إلقاء التحية عليك.

تحرك قلبها ليتبعه في ابتعاده المباغت، وقالت:

- لم.. لم تعطلني.. أنا.. سعيدة لرؤيتك.

- وأنا أيضًا، سنلتقي مجددًا بالتأكيد.

لم ترد ولم ينتظر ردها، فقط ابتسم لها قبل أن يسير مبتعدًا.

وصلت منزلها لا تدري أكان هذا حلمًا أم حقيقة، لكنها لم تعد تحلم به منذ وقت طويل.. ظلّ فقط الوجع الذي يحثها على الكتابة والإبداع.. فبعد فراقهما وصلت لقمة إبداعها.. ومع كل نجاح كان من الصعب أن تتراجع ولو لأجله.

تمنت كثيرًا لو يتراجع هو.. يتصل كما قال إنه كاد أن يفعل.. لماذا لم يفعل؟! تعرف أنها تسرعت في خطبة قصيرة بعد انفصالهما ونشر كتابها، لكنه جرحها بشدة عندما تجاهلها.. وتجاهل كتابها الأول الذي أهدته له.. كانت مغرقة بالحب والتحدي.. لكنه لم يبالِ بأي منهما مادامت أصرت على عدم قتل موهبتها لأجله.. لأجل نزعة تملك قوية نحوها، تلك النزعة التي عشقته لأجلها.. وتركته أيضًا لأجلها.

"لماذا تُصر عقلية الرجل الشرقي أن المرأة لا يمكنها أن تُبدع وتبتكر شخصيات وقصصًا من خيالها؟

لماذا يظن دومًا أن المرأة تنقل حياتها الخاصة على الورق.. ولا تملك سوى تجربتها لتقدمها، حتى لو كتبت ألف قصة!

نعم.. أنا بطلة ألف قصة حب.. ولي ألف عاشق ومحب!

اقرأني يومًا إن استطعت..

وتمتع بما سأحكيه لك.. فمعي وحدي أجمل الحكايا"

***

في الصباح استيقظت فزِعة لأنها لم تطمئن على أمها قبل أن تغفو ممزقة المشاعر والأفكار، توجهت لغرفتها باستعجال، فوجدتها تستقبلها بابتسامة حانية تملأ وجهها المنهك.

- أمي حبيبتي أنا آسفة جدًا، نمت فجأة أمس ولم...

قاطعتها وهي تربت على كتفها بحنان وتجلس بجانبها:

- لا تخافي عليّ يا حبيبتي، أنا بخير أمامك كما ترين، لا داعي لتُقيّدي نفسك بي هكذا.

- عن أي قيد تتحدثين يا أمي؟ أنتِ كل حياتي، وكل ما أفعله.. كل نجاح أحققه لأجلك ولأجل أن تكوني فخورة بي.

- يا حبيبتي أنا فخورة بكِ منذ أن جئتِ لهذه الدنيا، ليتكِ فقط تكملين فرحتي وأرى أطفالك قبل أن أموت.

obeikandi.com

حضنتها (مريم) متنهدة بحزن، لا تجد ردًا يريح أمها، مع أنها حاولت.. ثلاث مرات بعد (يوسف) حاولت أن تنجح في أي ارتباط فقط لتُسعد أمها، وكل مرة تبوء بفشل ذريع!

خطأها أم خطأ الطرف الآخر.. لا تدري، فالرجل الوحيد الذي تمنت أن تنجب منه أطفالاً ابتعدت عنه كي لا تُصبح نموذجًا آخر من أمها، أم مُهمَلة انهارت حياتها بعدما طلقها زوجها رغم حبها البالغ له، تعرف أن وضعها مع (يوسف) كان سيكون مختلفًا في كثير من التفاصيل، فوالدها كان متزوجًا ولديه أربعة أطفال من زوجته الأولى، عملت أمها في شركته وأُغرمت به بجنون لدرجة أن وافقت أن تكون الزوجة الثانية، لكن سرعان ما ندم والدها على تلك "النزوة" وفكر في الطلاق بعد عام واحد، لولا أنها حملت بها فتأجل قرار الطلاق ثلاث سنوات.. ثلاث سنوات من إهماله لها ولأمها.. ثلاث سنوات يُجبر نفسه على قضاء يومين أسبوعيًا مع أسرة لا يريدها.

حينها عرضت أمها عليه أن يُطلقها إن كان لا يحبها، وبدا وكأنه ينتظر تلك الفرصة، طلّقها دون تردد واستمر في إرسال مبلغ شهري من المال لهما، وكان هذا صلتها الوحيدة به.. مع زيارات قليلة كل بضعة أشهر في البداية، قبل أن تُصبح مرة سنويًا، إلى أن تحولت لمكالمة هاتفية كل عام للاطمئنان عليها.

اختارت أمها كرامتها ودفعت روحها مقابل ذلك، فعندما اختارت قلبها في البداية كانت كرامتها وقلبها معًا هما الثمن، لم يبقَ من أمها سوى حطام امرأة تُحاول أن تكون أمًا صالحة لا أكثر، فكيف تنسى هذا النموذج الصارخ أمامها وتُفني ذاتها في حب أي رجل مهما كان؟!

تصاعد رنين هاتفها بغتة فاعتذرت من أمها سريعًا وغادرتها، أمسكت الهاتف بقلب يرتعد وهي تنظر للرقم.. لم يتغير.. لم يُغير رقمه مثلها.. وأجابته.

- هل يمكنني دعوتك على غداء متأخر اليوم؟

عانقها صوته العميق دون أن تستطيع المقاومة، لماذا يبدو الفناء فيه مغريًا لهذا الحد؟ كانت تنتظر مكالمته..تنتظر ردة مشاعرها لتفهم قلبها، نظرتْ عيناها باتجاه غرفة أمها للحظات وشفتها السفلى بين أسنانها، قبل أن تجيبه:

- بالتأكيد.

obeikandl.com

– **خدم** وحشم وفي النهاية لا أجد ما أرتديه للذهاب لعملي! عملي الذي أُنفق منه على كل هذا!

راقبت (غادة) ببرود وصمت زوجها الذي يصول ويجول في غرفة النوم بغضب، أيمكن أن يكون الرجل الذي أمضى معها أمس ليلة مفعمة بالحب هو نفسه الذي يتشاجر معها في الصباح لأجل جورب غير مغسول؟

توجهت بهدوء لدرج الدولاب وأخرجت جوربًا أسود، وهي تقول:

- الأسود يليق أيضًا، ليس شرطًا أن يكون رماديًا.

أخذه منها مدمدمًا بتذمر، فتركته وعادت لطفليها تُنهي تجهيزهما قبل وصول أوتوبيس المدرسة، لم ينتهِ (ماجد) إلا بعد نزول الطفلين، خرج من غرفة النوم تسبقه رائحة عطره الفاخر الذي يُصر على عدم تغييره، متأنقًا بوجه وسيم حليق، وشعر أسود ناعم مصفف دومًا للوراء، وبذلة رائعة التفصيل تُخفي الزيادة البسيطة التي اكتسبها في السنوات الأخيرة دون أن تُؤثر على هيئته الجذابة.

اقترب منها قبل أن يصل للباب، وقال بابتسامة صغيرة وهو يقرص خدها بمودة:

- لن أتاخر اليوم.

نظرت لعينيه صامتة لا تسامحه على غضبه الصباحي، فانحنى يُقبّلها بسرعة متظاهرًا بعدم ملاحظة ذلك وغادر المنزل.

توجهت بفتور لحاسبها تراجع رسائلها، فكرت أن تتصل بـ(مريم) تسألها ماذا يعني الحب عند الرجل؟ وكيف يمكن للمرأة أن تعرف إن كان زوجها يحبها بقلبه ومشاعره أم بطريقة ذكورية جسدية بحتة؟

لكن كيف لـ(مريم) أن تعرف وهي تقف دومًا على عتبة خطبة لا تكتمل؟!

استرعى انتباهها دعوة من إحدى صديقاتها على الفيس بوك في جروب "هواة التصوير الفوتوغرافي" لقضاء اليوم في منتجع بالعين السخنة، ابتسمت بسخرية خفيفة، ولم تُفكّر بجدية في الموضوع، فلابد أن (لمياء) – صاحبة الدعوة - ترى أن هذه الدعوة فرصة مناسبة لإيجاد شريك حياة مناسب، فقد بلغت الرابعة والثلاثين منذ عدة أسابيع، وهي فتاة عادية الجمال من أسرة بسيطة، فهل لازالت أمامها فرصة فعلاً؟

ووجدت رسالة أخرى من (شريف):

"لقد سعدتُ جدًا عندما عرفت أنك ضمن المدعووين في جروب "هواة التصوير"...أنا في هذا الجروب منذ عدة أشهر ولم أنتبه لوجودك فيه...سيشرفني أن أرى حضرتك ذلك اليوم لأخذ استشارتك في بعض الأمور، إن لم يزعجك هذا"

أغلقت حاسوبها دون أن تهتم بالرد، فتلك الرسالة شجعتها أكثر على تجاهل الدعوة برمتها، لا تريد أن يتجمع حولها أصحاب المشاكل منتظرين حلولها العبقرية!

وصل (ماجد) في موعده المعتاد فتغديا معًا بعد أن أطمعت الطفلين باكرًا فور عودتهما وجلسا يشاهدان قنوات الكارتون في غرفة المعيشة، كانت تُرتب ملابسه التي خلعها في منتصف الغرفة عندما رن هاتفه جوارها وهو في الحمام، انتهى الجرس ثم تعالت النغمة المختصرة للرسائل، أمسكت الهاتف ثم فتحت دون اهتمام الرسالة لتتسمر مكانها غضبًا، أتى (ماجد) في تلك اللحظة، فهتفت به:

- هل وصل بك الأمر لتبادل نكات إباحية معهن؟! هل باتت علاقاتك بهذه الحقارة؟!

أخذ منها الهاتف عابسًا ينظر للرسالة، ثم قال دون أن يواجه نظراتها النارية:

- لابد أنها أرسلتها بالخطأ، ولماذا ترين رسائلي أصلاً؟ ماذا لو كان رجل الذي أرسلها لي؟ ما دخلك بهذه الأمور؟

صرخت بانفعال لم يعهده فيها:

- فعلاً؟! بهذه البساطة تُحقق معي لرؤيتي رسائلك وتظن أني سأمرر الموضوع؟!

- لا تُكبّري الموضوع دون داعٍ.

رمقته بازدراء شديد وقالت:

- أنا فعلاً نادمة لأنني وثقت بك!

وذهبت لغرفة الصغيرين تُغلق الباب عليها وجسدها يرتعش من الانفعال.

طرق الباب وحاول كثيرًا محادثتها، حتى إنه اعتذر بشكل غير مباشر وأقسم إنها أول مرة تُرسل له (نيفين) رسالة من هذا النوع، لكنها لم تُصدق حرفًا ولم تردّ عليه، هو الذي فتح مجالاً لـ(نيفين) وغيرها كي يعتقدن أن هذا المزاح مرحب به بينهم، وأن علاقته بهن ليس لها خطوط حمراء.

وكأنه متزوج من امرأة أقل منهن جميعًا! سنوات تُحاول معه وتُحدّثه في أسلوبه وطريقته مع زميلاته أو حتى عميلاته، لكن دون فائدة!

منذ عامين أصرت أن تحضر معه غداء الشركة السنوي، كان يرفض دومًا ذهابها متعللاً بغيرته عليها، لكنها أرادت أن ترى زميلاته وتُريهن نفسها أيضًا ليُدركن جيدًا أن لا فرصة أمامهن للمنافسة، وبالفعل كانت أجمل النساء يومها، وجدت (نيفين) خمرية بشعر خشن لم تُفلح تصفيفته المتكلفة في إضفاء نعومة طبيعية عليه، وثوب ضيق زهري اللون، ربما ظنت نفسها مثيرة فيه لكنه كشف عيوب جسدها أكثر، ونصف حديثها بالإنجليزية لتُضفي رُقيًا زائفًا عليها، رمقتها (غادة) يومها بنظرة استهزاء باردة حين وجدتها تتعمد الاقتراب من (ماجد) لتحادثه وتمزح معه بين حين وآخر، لكنّ (ماجد) لم يبدُ متفاعلاً كثيرًا مع (نيفين)، كان يشعر بالضيق لوجودها معه وينظر حوله كأنه حارسها ليتأكد أنه ليس ثمة رجل يجرؤ على النظر إليها وهي بجانبه، عادا إلى المنزل ليلتها وهي في قمة السعادة والثقة بنفسها، وهو في قمة التوتر

والانزعاج، وطلب منها ألا تأتي معه مجددًا لأنه لا يثق في أخلاق معظم زملائه في البنك، ولم يهمها أن تذهب مجددًا، فقد نالت ما تريده وتعرفت على زميلاته وعاملتهن بالازدراء المستحق لمزاحهن مع زوجها.

لكنّ كل هذا بلا جدوى مادام هو الذي يُصرّ على عدم مراعاة كرامتها ومشاعرها، قررت في اليوم التالي أن تذهب لرحلة العين السخنة حتى لو لم يوافق (ماجد)، كانت تريد إغاظته بأي طريقة، لكن عندما أخبرته ببرود عن نيتها في الذهاب لم يمانع، أخبرته أنها ستذهب وحدها بالسيارة وتترك الطفلين عند أمها، فلم يُثر مشكلة كعادته عندما يعلم أنها ستقود لمسافة طويلة، وظلّ يحاول إرضاءها بقية اليوم دون أن تُسامحه.

لم تأخذ إلا كاميراتها ونظارة شمس على الشاطئ الهادئ، أقبلت نحوها (لمياء) بترحاب سعيدة بوجودها، تأملتها (غادة) وودت لو تمنحها بعض النصائح لتصبح أكثر أناقة وشبابًا، لكن علاقتهما لم تكن وطيدة لهذا الحد.

جلست في ركن بعيد قليلاً وأخذت بعض الصور للمكان، وندمت لأنها لم تُحضر (زيد) و(رزان) معها، كانا ليسعدا كثيرًا باللهو على الشاطئ اليوم.

- أستاذة (غادة)!

التفتت وهي تُبعد الكاميرا عن عينيها، لترى شابًا طويلاً في أواخر العشرينات، أنيق المظهر، قال مجددًا بدهشة ضاحكة وهو يحدق فيها:

- أستاذة (غادة) الخبيرة النفسية؟ هل أنتِ أستاذة (غادة) حقًا؟

ابتسمت قليلاً وقالت:

- نعم، من حضرتك؟

صدم وكأن جوابها فاجأه أكثر، لكنه أجاب بسرعة ملاحظًا تململها:

- أنا (شريف)! (شريف سعد).

ردت مجاملة:

- آه.. أهلاً وسهلاً.

وأشاحت بوجهها في ضيق وهو يتأملها دون لباقة.

- آسف جدًا! أنا فقط مصدوم.. ظننتك أكبر من هذا بكثير، أنتِ أجمل.. أ.. أقصد أصغر كثيرًا مما ظننت.

توردت قليلاً، تعلم أن غلطته في الكلام مقصودة، وردت باقتضاب دون أن تنظر إليه:

- حصل خير.

- أنا منهر!

رمقته هذه المرة بنظرة صارمة تحذيرية، قبل أن تبتعد عنه وتنضم لأول مجموعة في طريقها.

لم يضايقها بقية اليوم وإن لاحظت استمرار نظره إليها، وقبل أن ترحل بقليل أتى لها مجددًا معتذرًا دون أن يحدق كثيرًا في وجهها هذه المرة، وقال:

obeikandl.com

- أردت فقط أن أشكرك لمساعدتك لي، الأمر فقط أنكِ لستِ الصورة التي ظننتها، فأنتِ لا تضعين صورًا لك أو توضحين سنك على الصفحة.

قالت برسمية:

- لا عليك، ربما سأضع صوري مع طفليّ قريبًا.

- ألديكِ أطفال؟ حقًا؟ ظننتك خريجة حديثة.

لان وجهها بضحكة لم تُطلقها، وقالت:

- تخرجتُ منذ سبع سنوات، لا تقلق، أنا خبيرة فعلاً في مجالي.

- مثلي تقريبًا، تخرجت في نفس السنة من كلية الهندسة.

- جميل، عن إذنك الآن لأنني يجب أن أعود قبل الغروب.

- بالطبع، سعيد أنني رأيتك.

ودعته بابتسامة مختصرة وتحركت مبتعدة نحو سيارتها، وصلت منزلها وذهنها مشغول بـ(ماجد) وكيفيه معاقبته، ألحت عليها فكرة الذهاب لشركته، كانت كل الظروف مهيّأة؛ اليوم الخميس والطفلان عند أمها، وإذا انطلقت الآن ستصل في موعد خروجه تقريبًا وسترى (نيفين) الوقحة وترمقها باحتقار.

لم تستطع المقاومة.. بدلت ملابسها بأكثر ملابس استفزازًا لزوجها، جينز ضيق وبلوزة ناعمة قصيرة تصل لخصرها، حتى الطرحة لفتها للوراء، وتزينت

بعناية وشمس النهار الذي قضته على الشاطئ تُضيء وجهها بوهج دافئ جذاب، وأخيرًا صندل أنيق عالي الكعبين.

وصلت مكتبه قبل موعد الانصراف بخمس دقائق، تعمدت أن تجعل السكرتيرة تعرف هويّتها وتُبلغه بها كي تنقل الخبر لبقيه زميلاته، ودخلت مكتبه بثقة.

- نهارِك أسود! هل خرجتِ من المنزل بهذه الملابس؟!

ردت بسخرية باردة:

- نهارك سعيد يا حبيبي! دومًا لطيف اللسان!

نهض من خلف مكتبه والشرر يتقافز من عينيه، قائلاً:

- لطيف؟! هل جننتِ يا (غادة)؟! أتريدينهم أن يقولوا إنني تزوجت راقصة!

ضحكت هازئة، وقالت:

- وكأنك تعمل في "التوحيد والنور" وليس في بنك أجنبي!

- أقسم بالله لو...

دخلت (نيفين) فجأة، وقالت بترحاب مصطنع ما إن رأتها:

- مدام (غادة)! يا لها من مفاجأة how are you؟

obeikandl.com

رمقتها (غادة) بالنظرة التي خططت لها طويلاً، نظرة ازدراء باردة، وردت بفتور:

- أهلاً.

امتقع وجه (نيفين) بطريقة أرضت (غادة)، قبل أن تنظر لـ(ماجد) وتقول عاجزة عن إخفاء ضيقها:

- هل ستوصلني اليوم يا (ماجد) or what؟

رفعت (غادة) حاجبها بتساؤل مستنكر لزوجها، فارتبك قليلاً وهو يقول:

- اعذريني يا (نيفين)، لدينا مشوار عائلي اليوم.

- OK, bye!

وغادرت بنظرة جامدة جوفاء. قالت (غادة) بغضب:

- توصلها أيضًا؟ ماذا تُخفي أكثر؟ هل سأجد ورقة زواج عرفي في مكان ما؟!

اقترب منها منفعلاً:

- شششش! هل جننتِ؟! لن نتشاجر هنا، في المنزل لي حساب آخر معك! هيا.

وأمسك ذراعها بعنف وهما يغادران حتى ركبا السيارة، لم ينطق أحدهما في الطريق والغضب يتصاعد ويتراكم بداخلهما.

قالت ما إن دخلا المنزل:

obeikandi.com

- أخبرني بكل شيء بينكما! ماذا بينكما يا (ماجد)؟!

صرخ:

- يا مجنونة يا مجنونة! لا يوجد شيء بيني وبينها أبدًا! أنا فقط أوصلها لأن سيارتها في التصليح هذا الأسبوع!

- أتصدق نفسك؟ أتجد هذا عذرًا مقنعًا؟ تعرف أنني لا أُطيق هذه المرأة؛ فتوصلها كل يوم لمنزلها، أيها الخائن!

- فعلا! أنا الخائن! كل هذا لتداري على فعلتك السوداء وخروجك من المنزل بهذا المنظر! هل كنتِ هكذا طوال اليوم يا زوجة يا محترمة؟! هل متعتِ أعين الرجال كما تريدين؟!

- هذا كلام حقير ولن أرد عليه! ولتعلم فقط أنني عدت هنا أولاً وبدّلت ملابسي هكذا عندًا فيك وفي "صاحبتك" (نيفين)!

- وأنا سأريكِ العند على أصله وأنا أمزق تلك الهلاهيل ستين قطعة!

- إن جرؤت على لمسي ستندم يا ماجد!

- عظيم! فلنجرب!

جذبها بعنف فقاومته تلقائيًا، وهو يشد طرحتها الخفيفة ويليقها أرضًا، وعندما حاولت الابتعاد جذبها غاضبًا من قميصها فأحدث شقًا فيه، اختنقت دموعها مع صوت التمزق، لا تصدق أنه يعاملها هكذا، وقالت:

- أنا أكرهك يا (ماجد).. أكرهك!

لم يتركها فورًا، لكن بعد أقل من دقيقة كانت حرة متهاوية على الأرض تبكي بصمت، وهو في الطرف الآخر من الصالة يحاول استعادة تعقله، نهضت وتوجهت لغرفتها دون كلمة لتخرج بعد قليل وقد بدّلت ملابسها، تناولت مفاتيح سيارتها وفتحت باب المنزل.

- (غادة)! انتظري!

أغلقت الباب خلفها بقوة وأسرعت حتى وصلت للسيارة، وانطلقت بها والدموع تتجمع في حلقها.

أمضت يومي العطلة عند أمها، أتى (ماجد) ليأخذها يوم الجمعة فلم تذهب معه. أخبرته أنها ستعود في موعد مدرسة الطفلين، لم تناقشه في شيء أو تجادله كي لا يعلم والداها بخلافهما، لكنها أيضًا لم تنظر إليه ولم يزد حديثها معه عن كلمات مقتضبة قبل أن تتركه مع الطفلين، شيء كبير انكسر داخلها حتى لو ملأ الاعتذار والندم عينيه، فقد خبرته جيدًا وتعلم أن تلك النظرة لن تدوم طويلاً، وسينساها بسرعة ولن يتغير.

كانت تعلم أن عليها أن تعود لمنزلها لتُكمل دورة حياتها كزوجة وأم.. حتى لو ثقتها في زوجها أصبحت مدمرة واحترامها له أقل بكثير، زوج لا يحترم مشاعرها.. ولا يضع لها أي اعتبار، وفي النهاية يعاملها بمنتهى العنف والقسوة ليعاقبها على ذنب كان هو السبب فيه! فكيف تثق به مرة أخرى؟ بأي حق؟

مر أسبوع حتى وجدت رسالة من (شريف)، ذُهلت عندما وجدت صورة لها أخذها لها في ذلك اليوم دون أن تنتبه، ومع الصورة كتب:

"ترددت كثيرًا في إرسال الصورة خوفًا من غضبك، لكني بكل صدق لم أجد في اليوم كله أجمل من نظرة عينيك وهما تتأملان البحر...مع خالص اعتذاري وتقديري"

حدقت في الصورة والرسالة طويلاً دون أن تعرف ما رد الفعل المناسب الذي يجب أن تفعله، كانت منهكة نفسيًا لدرجة لم تستطع أن تغضب من تصرفه كما ينبغي، أغلقت الحاسب في النهاية دون أن ترد، تمنت لو تُكلم (مريم) وتحكي لها كل شيء لكنّ كبرياءها منعها، نفس الكبرياء الذي جعلها لا تُخبر أهلها شيئًا وهم يتغنون بها كزوجة سعيدة كاملة.

باتت تقضي عطلات الأسبوع دومًا في بيت أسرتها، وكتم (ماجد) اعتراضه بصعوبة، كان يعلم جيدًا أنها غاضبة منه ولم تسامحه، ولم تشعر أنها قادرة على مسامحته يومًا.

"أستاذة (غادة)

أرجوكِ أخبريني أنكِ لست غاضبة مني...لا يمكنني نسيان مساعدتك لي، ولم أقصد أبدًا أن أقابل هذا بإساءة... أعتذر لكِ حتى ترضي"

زفرت بسأم وهي ترى تلك الرسالة التي أرسل مثلها ثلاث مرات خلال الأسبوع الماضي، فكتبت أخيرًا لتُنهي الموقف:

"لست غاضبة مع أني معترضة على ما فعلت، كنت مشغولة الفترة الماضية ولم أجد وقتًا للرد عليك.. تحياتي"

كادت تُغلق الصفحة عندما أتى رده بسرعة:

"الحمدلله، أنا سعيد جدًا لأنك رددتِ أخيرًا...كنت أريد إخبارك أنني أنهيت خطبتي وأشعر بارتياح أكبر الآن.. لقد واجهتُ نفسي وأدركتُ أنني كنت سأتورط في زواج غير سعيد لأجل المظاهر...زواج العقل وحده لا ينجح"

ترددت قليلاً ثم ردت:

"ولا القلب وحده، يجب أن يقتنع الاثنان معًا، أتمنى لك التوفيق في حياتك"

كتب:

"عقل وقلب معًا صعب يا أستاذة (غادة)...أن تكون المرأة جميلة ومثقفة تركيبة نادرة الآن"

انزعجت وردت:

"النادر فعلاً هو عقلية الرجل التي يمكنها استيعاب أن المرأة الجميلة الراقية ليست بالضرورة أن تكون تافهة"

"بالتأكيد...وحضرتك مثال واضح على ذلك"

صمتت وكتبت باختصار:

" شكرًا"

وسجلت خروج من صفحتها بسرعة ليعرف أنها غادرت، لكنها لم تكن المحادثة الأخيرة بينهما، كانت لديه طريقة في استفزازها لترد، لا تدري إن كان يتعمد هذا أم لا، لكن مع الأيام اطمأنت قليلاً لصداقته والحديث معه في أمور عامة، فهو يعلم أنها متزوجة ولن يطمح في شيء أكثر من الصداقة، خاصة أنه شاب من أسرة راقية كما عرفت من حديثه ولديه عمل ومستقبل ممتازان، ورغم أنها تلمح الإعجاب بين سطور كلماته، إلا أنها قادرة أيضًا على وضع حد لذلك.

obeikandl.com

كيف أمكنه أن يطوي سنوات فراقهما في عينيه؟ أين الفتاة التي استطاعت هجره قبلاً؟ أين اختفت؟ في أي جزء من ثنايا سحره سكنت.. وتلاشت؟

مد يده إليها فأعطته يدها ليقبض على قلبها وهو يساعدها في ارتقاء سلم الباخرة الخشبي، قال وهو يصحبها للداخل دون أن يُفلت يدها:

- شعرت أنكِ ستُحبين هذا المكان، ستتحرك الباخرة في نزهة نيلية بعد قليل.

تأملت السفينة وسرحت عيناها لتموجات الماء الفضية، محاولة استعادة بعضًا من قلبها الذي يستولي عليه، وتمتمت:

- جميل جدًا.

قادهما النادل لطاولة مميزة، ففضلت الوقوف أمام سياج الباخرة و(يوسف) جوارها، ترددت قبل أن تستدير نحوه قليلاً تتأمله في ضوء النهار، تبحث عن التغير الحقيقي الذي أصابه خلال خمس سنوات، بدا أهدأ.. أكثر تفهمًا واستماعًا لها، لكن أحيانًا تبدو نظرة مختلفة في عينيه.. نظرة لا تدوم إلا ثوانٍ تجعله فجأة غريبًا غامضًا.

أمضت خمس سنوات تحاول أن تستمع لعقلها، تكتفي بالدوران حول النيران ولا تغامر باحتراقها، فلم تزدد إلا شوقًا لحرائق رأتها يومًا في عينيه.

لم تستطع تجاهل رنين الهاتف رغم مقاطعته للحظتهما، لكنها أعادته لحقيبتها مجددًا عندما رأت اسم المتصل، وقالت لـ(يوسف) معتذرة:

- أحب أن أتأكد دومًا أنها ليست أمي أو أمر يتعلق بها.

- كيف حالها الآن؟

- بخير الحمدلله، كما هي، ضغط وسكر.. قلب منهك، لا جديد.

بدا تعاطف في نظرته، قبل أن يسأل دون توقع:

- من كان المتصل إذن؟

نظرت بهدوء لعينيه المتشككتين وردت:

- المسئول عن دار النشر الذي طبعت كتابي الأخير، هناك حفل توقيع جديد يرتب له، مكالمة عمل لكنها غير عاجلة.

- (ظِلّ القمر).

نطق اسم كتابها بهدوء وهو ينظر لعينيها، فلم تستطع إخفاء بهجة تسللت لدهشتها وهي تسأله:

- أتعرفه؟ لم تخبرني من قبل أنك تعرفه.

- لدي كُتبك الثلاث يا جميلتي.

قالها ثم تابع ساخرًا:

obeikandl.com

- لابد أنك تشكرين حظك كل يوم لأنكِ اتخذت القرار الصحيح منذ خمس سنوات، أثبتِ أنك كنتِ محقة.

تجاوبت مع لمسة المرارة في صوته وردت لا تُخفي حزنها:

- لا يوجد قرار صحيح دون خسائر، لا ربح دون ألم.

- لا حب.. لا ألم.. لا ربح، لطالما أحببتِ الألم لتُبدعي!

سكنت نظراتها على وجهه بصمت، التقيا وتحدثا كثيرًا الأسابيع الماضية، لكنها المرة الأولى التي يتطرق فيها بوضوح لتركها له، ولكتبها التي فرّقت بينهما، كانت تتساءل دومًا هل يقتني كُتبها أم لا، لكن خشيت أن تسأله مباشرة، حتى أخبرها أخيرًا وألقى كلماتها التي كتبتها يوماً في وجهها، أقلقتها مرارته وأسعدتها.. فلازال ألمها وحبها محفوران داخله.

- هل يضايقكِ إن طلبتُ منكِ أن تحدثيني عن الرجال الذين عرفتهم بعدي؟

رمشت منزعجة متفاجئة، وقالت:

- أنا لم أعرف رجلًا غيرك، لم يترك أحدهم فيّ إلا دبلة أعدتها له.

بدا غير قادر على تصدقيها:

- أبهذه البساطة تُعبّرين عن ثلاث رجال أوشكت على الزواج من كل منهم؟

نظرت للماء تعض شفتها قليلاً، فتابع:

- "امرأة تكتفي بحب رجل واحد.. امرأة بلا خيال".

التفتت له بدهشة، وقالت:

- كنتَ تتابع صفحتي أيضًا السنوات الماضية؟

رد بابتسامة حزينة:

- ولم لا؟ ألم تُعيدي لي دبلتي أيضًا؟!

- لكنك لم تترك فيّ دبلة وحسب يا (يوسف)، ألا تعلم ذلك؟

قالتها غير عابئة سوى بمحو هذا الوجع في صوته.. وقلبه.

تشابكت نظراتهما بمشاعر كثيرة متداخلة، إلى أن قطع الصمت قائلاً:

- فلنجلس لنشرب شيئًا.

جلسا وطلب الغداء والمشروبات، وتحدّث في أمور أخرى بعيدة عنهما، سرى في قلبها ألم مع مزيج مباغت من الندم وهي تنظر له تستمع أكثر مما تتحدث، لم تُفكر كثيرًا من قبل في مدى الجرح الذي ألحقته به، فكرت دومًا أنه الذي أجبرها على الاختيار وأنه مسئول أيضًا عن انفصالهما، لكن يبدو أن ثلاث خطبات بعده لم تُدعّم جيدًا دورها كضحية في نظره.

قالت فجأة وهما يوشكان على الانصراف:

- الجملة التي ذكرتها عني منذ قليل لا تعني ما تبدو عليه، أنا لا أكتب عن نفسي بقدر ما أكتب عن أبطالي، أنت تعرف جيدًا أنني لا أؤمن إلا بحب واحد فقط.

رمقها بنظرة ثابتة وصمت، لم تعرف هل صدّقها أم لا؟ وهل سيسألها من هو حبها؟ وهل لازال فعلاً حبها؟

لا تدري.. كل ما تعرفه أنه منذ ظهوره مجددًا في حياتها وهي لا تفكر إلا فيه.. فيهما.. تريد أن تُجرّب.. أن تعرف كيف كان سيصبح الأمر لو لم يفترقا.. لو لم تتركه.

عندما رأته في المرة الأولى لم يُلفت نظرها بشكل خاص، لم يكن وسيمًا كـ(عادل) الذي أدمى قلبها بخطبته، ولم تُفكّر أنها يمكن أن تقع في حب شخص آخر لاسيما الآن.

كل هذا حتى تجاذب معها أطراف الحديث ذات مرة ونظرت مطولاً لعينيه، عرفت حينها كيف يمكن الانجذاب لرجل بسبب أعمق كثيرًا من جمال الشكل، النظرة الرجولية في سواد عينيه غازلت أنوثتها، البسمة الهادئة على وجهه باحت بكثير من كلمات الإعجاب، وقعت في فتنته رويدًا.. حتى نسيت كيف عشقت قبله.

والآن بعد هذه السنوات تراه كما عشقته يومًا.. طويلاً نحفيًا.. أنيقًا مهما ارتدى، ووجهه الأسمر الآسر يُغري أحلى النساء بالوقوع في سحره.

ألحّ عليها السؤال وهو يعيدها للبيت بسيارته، وسألته:

- وماذا عن النساء في حياتك بعدي؟

رمقها ببسمة جانبية صغيرة ولم يردّ، فقالت مجددًا:

- لماذا لا تخبرني؟ أنت تعرف كل شيء عني وتسأل كما تريد!

أوقف السيارة في ركن هادئ قليلاً، والتفت لها يقول ببطء ناظرًا لعينيها:

- كرهت النساء بعدك.

ألجمها رده، حدقت في عينيه لثوانٍ قبل أن تسأل بصوت مجروح:

- هل كرهتني؟

لمس وجنتها الناعمة بأنامله وأجاب:

- نعم.

- أمازلتَ.. تكرهني.. حتى الآن؟

- من كل قلبي.

همس وهو يزداد اقترابًا، تسمرت ونار مباغتة تسري في دمائها، لفّها ذعر النكران، ممتزجًا بنشوة بعيدة منسية.. برائحة دفء ألفته يومًا.. احتبست أنفاسها تحلم أن تتلاشي فيه.

لكنه تراجع مبتعدًا، نظر أمامه متجهمًا قليلاً بصمت قبل أن يدير المحرك ويعاود طريقه، تبعته بعينيها شاخصة النظر إليه غارقة في حلمها.

obeikandi.com

لم تنم ليلتها وكيانها مستغرق في التفكير فيه، غمرها خوف حقيقي من الانسياق في حب هجرته قبلاً، حب لم تعرف مثله.. واختارت أن يظلّ خيالاً، فلِمَ يقيدها الآن خوف أكبر إن ظلّ خيالاً؟!

ألأنها صارت أكثر نضجًا.. أكبر عمرًا؟!

أم لأنه هو.. الوحيد الذي أغوى خيالها بأرض الواقع؟

أربكتها مشاعرها، واكتشفت أنها أهملت كتاباتها منذ أن عاد ليستحوذ على أوقاتها، فاعتذرت منه مؤجلة اللقاء التالي، وهو ما لم يعجبه بالطبع، ولطالما كان هذا أبرز خلافاتهما.

حاولت مرارًا تذكّر تلك الخلافات، غضبه.. تملكه، فلم يملأ ذاكرتها سوى حضور مليء بالحنان والاحتواء، كأنها خُطبت له فقط ليكون معها في العام الذي تزوج فيه (عادل) فلا تهتم، نفس العام الذي تُوفي فيه الأب الذي بالكاد عرفته، فيمنحها (يوسف) بضمة واحدة حنان عمر أمضته.

سبحت رغمًا عنها في ذكرى عناقه البعيدة، عندما أعادها للمنزل من الجنازة وبقي معها دقائق ليطمئن عليها، فسالت دموعها فجأة تبكي يتمها الذي رافقها طوال عمرها بأب غير موجود، لكنه أصبح رسميًا الآن، فبات أكثر وحشة وقسوة.

ضمها إليه ليواسيها ويطمئنها، لكن سيمفونية المشاعر المتصاعدة بينهما لم تعترف بعزف الألحان الهادئة، جرفتهما للحن ناري لم يخبراه قبلاً، لم تعرف كم تُحبه إلا في هذه اللحظة.. حتى وهو يبتعد عنها بغتة مضطرب المشاعر

والأفكار، لا يقوى على إخفاء تهدج نبراته المحببة وهو يعتذر منها ويسارع في الانصراف..

لم تعرف أن هذه اللحظة ستبقى مقياسها الذي يجعلها ترفض كل رجل بعده.

***

"(خالد)!

بادلته الهمس بقلب يختلج بعنف.. نظرت لوجهه.. لعينيه.. لا تصدق أنها تراه أمامها بعد سنوات طويلة بائسة.

لكنّ قلبها تعرف على شفرة نظراته يطابقها بما يحتفظ به في الصميم ليؤكد لها أنه هو، ولا يمكن أن يكون سوى هو.

همس ثانية وهو ينظر لها بلهفة أكبر من أن يخفيها:

- لا أصدق أنكِ أمامي! وقفت أرمقك لحظات لأتأكد أنكِ أنتِ حقًا!

ظلت متسمرة تنظر إليه، تُسجل عيناها كل تغير طرأ على وجهه وكل شعرة فضية جديدة وجدت طريقها لتضيء عتمة شعره، وفي لحظات تفجرت براكين من المشاعر بداخلها، براكين من حنين وشوق.. وألم حكاية لم تتم.. حكاية مسجونة في قلبها لسنوات لم يُفلح غيره أبدًا في تحريرها أو فك رموزها، هو وحده الذى وضع رموزها ورحل، لتتلوى سنوات عمرها دونه، في فك أحجيته لعلها تقودها إلي نفسها وإليه.

obeikandl.com

- هل يمكننا أن نجلس لدقائق.. لنتحدث؟ لن أعطلك إن كنتِ.."

قاطعته بهزة من رأسها المصدوم ونظرة من عينين لم تعد ترى في الكون سواه:

- بل نجلس، لايمكن أن.. تعطلني عن شيء.

ابتسمت لها عيناه بحب، وشعرت أنهما لم يفترقا لحظة منذ آخر لقاء لعينيهما في الشركة قبل رحيله، وسنوات الفراق تُزيل فجأة ألف حاجز من الخوف والتردد.

قال بعدما جلسا حول إحدى الطاولات، وبعد تأمل طويل لوجهها:

- تبدين مختلفة، وفي ذات الوقت أشعر أنكِ مازلتِ كما أنتِ، ربما بسبب التدخين، وهو شيء كنت أظنه بعيدًا تمامًا عنكِ.

ابتسمت ابتسامة صغيرة باهتة، أطفأت سيجارتها التي نسيتها في يدها وقالت:

- وأنا أيضًا كنت أظن ذلك، لكنّ الأمور.. تتغير.

صمت لحظة ثم تمتم:

- ليست كل الأمور.

ارتجف قلبها لوعة وشوقًا، كانت تعرف أنها تُعذب نفسها بالجلوس والحديث معه دون أن تنال شيئًا سوى سعادة نادرة ستُضاف لسلسلة عذابها لاحقًا.

تنفست بعمق تُحاول السيطرة على مشاعرها قبل أن يباغتها سائلاً بشيء من التوتر:

- هل تزوجتِ؟

التقت عيناها بعينيه لبرهة، قبل أن تُجيب بخفوت :

- نعم.. وتطلقت أيضًا.

رأت مزيجًا من المشاعر المتباينة على وجهه، ومرت لحظة قبل أن يسأل باختلاج بسيط :

- لماذا؟

ابتسمت بحزن قائلة:

- لماذا تزوجت أم لماذا تطلقت؟

- عنيت.. الطلاق بالطبع، إن كنت أُزعجك فتقبلي اعتذاري.

تنهدت وقالت :

- كلا بالطبع، لاتزعجني، لكن كل ما في الأمر أننا لم نتفق، تمّ كل شيء بشكل سريع، الزواج بعد خطبة لم تتجاوز ثلاثة أشهر، وطلاق بعد بضعة أشهر أخرى.

obeikandi.com

أرادت أن تسأله بسخرية ممزقة، أمازلتَ متزوجًا أيضًا؟ أمازال لديك أبناء؟ ماذا يهمك من أمري؟ فلم أكن أبدًا أنا المشكلة، كنتُ فقط مشكلة لنفسي ولمشاعر حاولت أن أهبها زورًا لرجل آخر دون أن أنجح، فحبك قتل بداخلي أي قدرة على التظاهر والزيف، حب امتص ثنايا روحي لينمو ويملأ كل ركن بي، فكيف يمكن أن أستمر بقلب كهذا مع شخصٍ سواك؟!

- لماذا هذا الحزن في عينيكِ؟ أعلم أن التجربة التي مررتِ بها ليست هينة، لكن لايجب أن تدعيها تُدمر حياتك، فلا أتصور أن امرأة مثلكِ تُشوّه جمالها وصحتها بسيجارة.

أطلقت ضحكة دامعة مُرّة قبل أن تقول:

-الأمر ليس كما تظن على الإطلاق، فليست هذه التجربة التي دمرت حياتي.

صمتت ومشاعر عاصفة من الألم والضعف تُهددها بالانهيار، أغمضت عينيها وهمست بصوت ذاب في حزنها كما تذوب الشموع:

- يجب.. أن أذهب الآن.

قبض على يدها يمنعها من النهوض بسرعة، تدافعت الدماء في شرايينها بجنون ينبض بالحياة، ثم سأل بصوت متهدج:

- هل تتزوجينني؟"

قرأت مرة تلو الأخرى الجزء الجديد من قصتها الأثيرة المنسية، كم مرة فكرت في تغيير النهاية، لكن بشكل ما لم تستطع، فهل عساها تنجح الآن؟

تنهدت، تغادر مكتبها..

أيمكننا حقًا تغيير النهايات؟ رسمها بتلك الدقة القدرية، وقوة التنفيذ؟

لطالما تركت لأبطالها فرض سطوتهم عليها دون تذمر، فلماذا يُقلقها ذلك الآن؟

بعد ثلاث أيام من العناد والمقاومة اتصلت به، لم يرد عليها إلا بعدما ألحت في الاتصال فوق المرات الثلاث.

- أتعاقبني لفراق ثلاثة أيام؟

بدا صوته غير مبالٍ وهو يقول:

- لم تخطر تلك الفكرة في بالي، كنت مشغولاً.

- ألم تفكر بي الأيام الماضية؟

- وهل تهتمين؟

سألت بصوت متقطع:

- أتكرهني حقًا؟

لم يستطع إخفاء تهدج صوته من الذكرى القريبة، وهو يقول:

obeikandi.com

- أنتِ..! تعرفين جيدًا كيف تهزمينني!

همست:

- اجعلني وهمك.. حلمًا لا تناله.. أو طيفًا يمر حينًا بفؤادك..

اكرهني قليلاً وانشغل بمعاداتي.. فقط ضعني في خارطة تفكيرك.

- تمارسين سحرك مجددًا عليّ؟

- ليس لي سحر دونك.

صمت.. ثم سأل:

- هل سأراكِ غدًا؟

- أريد أن أمر بك في مكتبك، أيمكن؟

سخر:

- أتريدين التأكد من مركزي الوظيفي أولاً؟

- أريد أن أرى المكان الذي تُمضي يومك فيه.

تنهد قليلاً وقال:

- حسنًا، لا بأس، سأرتب الأمر معك في الغد، سلام.

وأغلق الخط قبل أن تتمكن من الرد.

obeikandl.com

ومع ذلك غمرها شعور ببهجة ناعمة، إحساس لم تعلم كم تتوق له إلا وهو يملأها.

رتبت أعمالها؛ سلمت المقالات المطلوبة وراجعت فصلاً أنهته منذ قليل في روايتها الجديدة، وأمضت بقية اليوم مع أمها تتحدثان وتثرثران بسعادة. وقبل أن تنام كتبت له:

"امنحني خيالًا وارحل

غازلني دون كلمات..

اترك لي ظلّك يتبعني..

يراوغني..

راقصني دون أن تُطوّقني

لأدور وحدي في الهواء

وأفوح بك..

أُقدّس تلك المسافة بيننا

فيها فقط.. يحلو العشق!"

***

obeikandl.com

وصلت مكتبه في اليوم التالي في الموعد الذي حدده لها ليغادر معها، أدخلتها السكرتيرة الأنيقة وأغلقت الباب خلفها.

نهض من خلف مكتبه الفخم بابتسامة خفيفة، وفي عينيه أثر كلماتها، قالت محاربة توتر طاغٍ بينهما:

- تهانيّ.. يبدو أنك حققت ناجحًا باهرًا السنوات الماضية حتى وصلت لهذه المكانة.

تقدم منها حتى وقف أمامها، وقال:

- لم أهتم سوى بعملي بعد أن تركتني.

آلمها برقة وقصد، قالت دون أن تُفكّر:

- ألا يمكن أن تسامحني؟

لم يرد ونظر لها بصمت، يتأمل وجهها ذا الجمال الناعم، وعينيها الحالمتين الواسعتين، بلمعانهما البندقي المضيء، وفمها الزهري المكتنز الشفتين، لاسيما تلك التي تعضها كثيرًا.. حذرها مداعبًا ذات مرة "رفقًا بها، فهي تخصني"، أفمازل يعدّها تخصه حتى الآن؟

قال:

- تبدين جميلة كما أنتِ دومًا.. وربما ازددتِ جمالًا.

obeikandi.com

دمعت عيناها فجأة دون سبب.. أو لعله بسبب.. أهو ندم حارق بات يلازمها كلما نظرت لعينيه؟

- لطالما قدّست المسافات بيننا.. لم تعرفي أبدًا أن أحلى ما في العشق انصهارك فيمن تعشقين.

- (يوسف)..

- أتعلمين كم اشتقتُ لسماعك تنطقين اسمي بهذه الطريقة؟

استدارت عنه قليلاً تكتم تنهيدة أحرقت صدرها، تعض شفتها بقوة دون وعي، وطوفان من المشاعر يتفجر داخلها يهدد توازنها.

- هل تُحبني؟

همست وهي تُسكن نظراتها في عينيه، فأجابها صوته العميق عازفًا على أوتار مشاعرها:

- امرأة ذات خيال حساس مثلكِ يجب أن تعلم متى يمنحها الرجل وهمًا.. ومتى يهبها روحه.

لم تهمها مرواغته بكلمات أرضت أنوثتها وخيالها.. لطالما كان الوحيد الذي يمكنه الوصول لتلك المنطقة في أعماقها.. يمنحها وحيًا.. وغرامًا.

وضع كفيه على كتفيها مسندًا فمه على شعرها الحريري في قبلة شجن صامتة، ارتجف لها كل جزء من فؤادها، مالت إليه وقلبها يئن شوقًا لتدفن

وجهها في صدره، لكنه تراجع مبتعدًا للمرة الثانية وكأنه شعر بما تفكر به.. أو لعله أوشك على فعله أيضًا.

- دعينا نخرج من هنا.

تركها وذهب لمكتبه يجمع أشياءه دون أن ينظر إليها، منحها وقتًا لتستجمع شتاتها، لا تعرف لماذا يبتعد دومًا.. لماذا لا يُنهي بُعدهما بعناق يمحو كل شيء ويبدآ من جديد؟ أم إنها ليست نهاية القصة بعد؟

سارا بصمت بين حدائق غناء مزهرة شاسعة المساحات، كان يختار الأماكن الأجمل كالعادة، يعرف أنها ستُعجب بها حتى لم تعد تسأل إلى أين سيأخذها وهي جواره في سيارته.

- من (خالد)؟

توقفت بدهشة لا تستوعب ما يقصد:

- (خالد)؟

- في قصتك الأثيرة.. الذي تكتبين له دائمًا، حتى كتابكِ الأخير، كنت أرى ظلّه بوضوح بين السطور!

نظرت له بعينين مفعمتين بمشاعر متباينة، وقالت:

- أتظنه حقًا شخصية حقيقية؟ لقد كتبت تلك القصة بعد انفصالنا مباشرة، فمتى وكيف سأقابل شخصًا وأحبه كما كتبت؟! إنه خيال يا (يوسف)! كيف تظن غير ذلك؟

- ولا حتى قبل انفصالنا أو لقائك بي؟! الحب الوحيد الذي لم تحصلي عليه لأنه تزوج غيرك؟!

تجمدت مكانها غير مصدقة، أكبر خطأ ارتكبته في خطبتهما أنها أخبرته بأمر (عادل)، أخبرته كدليل على محو حبه لأي وهم آخر سبقه.. لكنه لم يعتبره وهمًا كما يبدو!

- أخبرتك من قبل أنني نسيت أمره تمامًا منذ التقيتك، ولم يعد يهمني في شيء! لقد حضرت معي فرحه يا (يوسف).. هل نسيت؟ هل وجدتني أهتم ولو ذرة؟

نظر لها بعدم ثقة وقال:

- وكيف لي أن أعرف يومًا أنكِ تخبرينني الحقيقة؟ لطالما كنتِ بارعة في الكلمات.

سألت بألم:

- كيف لا تثق بي لهذا الحد؟!

رد بمرارة:

- وكيف أثق بقلب يُبدّل حبّه كل ربيع؟.

أغمضت عينيها لثوانٍ وجعًا وحيرة، بدت كل كلماتها التي كتبتها السنوات الماضية تُدينها بصورة لم تتوقعها!

- قلت لك ألف مرة إنني لا أكتب عن نفسي ولكن..

تصاعد رنين هاتفها فتناولته باهتمام كالمعتاد لترى اسم المتصل، وأجابت هذه المرة هاتفة بقلق:

- ما الأمر يا (سناء)؟ هل حدث شيء؟

ردت الفتاة التي ترعى أمها في غيابها:

- الحاجة تعبت فجأة وكاد أن يُغمى عليها فطلبت طبيبها كما أخبرتني، وهو في الطريق.

- لماذا؟ لماذا تَعبت؟! سآتي حالاً.. أنا في الطريق.

أغلقت الهاتف وهي تتحرك بالفعل، فأمسك (يوسف) مرفقها يقودها لسيارته وهو يقول:

- سأوصلك.

أومأت برأسها متوترة، ولم يفه أحدهما بحرف طوال الطريق.

وصلا في الوقت الذي كان الطبيب في غرفة أمها يفحصها، فسارعت تُحيي الطبيب على عجل وترمق أمها المستلقية على فراشها بقلق.

obeikandi.com

- الحمدلله أننا تداركنا الأمر بسرعة، إنها بداية غيبوبة سكر، لماذا لا تواظب على الدواء؟

قالت (مريم) وهي تنقل بصرها بحنق بين أمها و(سناء):

- لا يمكن! إنها تواظب على الدواء، أُتابعها بنفسي، هل نسيتِ إعطاءها الدواء يا (سناء)؟

ردت الفتاة بخوف:

- لقد أعطيته لها في يدها وقالت إنها ستأخذه.

- قلت لك مائة مرة لا تتركيها قبل أن تتأكدي أنها أخذته!

والتفتت للطبيب تتمالك أعصابها وتسأل عن وضع أمها، فطمأنها وأخبرها أنه حقنها بجرعة مُسعفة، وكتب لها على بعض الفيتامينات.

أوصلت الطبيب للباب، وذهبت (سناء) لإحضار الأدوية، فعادت لغرفة أمها تُقبّل رأسها وتُدثّرها جيدًا، قبل أن تترك الغرفة لتجد (يوسف) في انتظارها قرب باب المنزل، وهو يقول:

- لا تقلقي ستكون بخير، يجب أن أذهب الآن.

- ألن تبقى لتُسلم عليها؟

سألت وهي تعرف أنه ليس من حقها لومه على الرفض، بدا وجهه فجأة متعبًا وقال:

- أنتِ غير منصفة أبدًا يا (مريم)، تعرفين أنه من الأفضل أن أنصرف الآن.

اقتربت منه قليلاً وتساءلت، هل هاجمته أيضًا ذكرياتهما هنا، في المرات القليلة التي دخل منزلها، لأنه لم يكن من المقبول اجتماعيًا مكوثه طويلاً معها دون وجود رجل في البيت؟

ورغم ذلك تبقى أجمل لحظاتهما في الدقائق القليلة التي بقيا وحدهما هنا بعيدًا عن غرباء يشاهدون الحب مغزولاً في نظراتهما.

- لا تذهب يا (يوسف).

وقف غير قادر على الحراك وهي تقف أمامه بعينين غارقتين في الأسى والحب، وهمست:

- أتعرف من "خالدي"؟ لمن كلماتي؟ من الذي أريد منحه نظراتي المغرية ورقصاتي؟ ألا تعرف؟ إنه أنت.. لطالما كان أنت.

لم يعد يهمها إخفاء مشاعرها أو إنكارها.. لقد جربت وتعذبت بما يكفي بنكرانها له، ولا تريد سوى أن تتبع إحساسها الآن.

جذبها بين ذراعيه يغمرها بدفء أذاب المسافات بينهما.. دفنت وجهها في صدره كما حلمت خمس سنوات ماضية موحشة بعيدًا عنه.. امتزجت نغمات قلبها مع نبضات جسده وهي تتلاشى فيه.

كبعض نسمات باتت.. ينثرها الشجن ممتزجًا بعطره.

مرّ بسرعة على تعليقات الإعجاب والاستحسان على الصور التي التقطها في رحلتهم الأخيرة، ولم يشعر بالحماس للرد عليها، أنهى فنجان القهوة وغادر الغرفة ليجد أمه في انتظاره أمام طاولة الطعام.

- ألن تتناول الإفطار يا حبيبي؟

سألت بابتسامتها المتوترة غير الواثقة المعتادة، رمقها دون اهتمام وأجاب:

- لا، عن إذنك.

رأى انطفاء ابتسامتها في وجهها الشاحب قبل أن يغادر المنزل، لكنه واصل طريقه وقاد سيارته وشعوره بالضيق يتصاعد، فهذا الشيء الوحيد الذي تنجح فيه!

أن تجعله يشعر بالذنب، هو أو أبوه!

شخصية ضعيفة غير ناضجة لا تصلح لأن تكون أمًا من البداية!

تزوجها أبوه فتاة جميلة مدللة فأذاقته الأمرّين بتصرفاتها الطفولية ومشاعرها المراهقة، لم تُقدّر أبدًا كم يكد زوجها في العمل ليوفر لها كل ما تحتاجه للحفاظ على جمالها وأناقتها؛ هوسها الأول واهتمامها الوحيد! حتى

إنها مع السنوات شعرت بالندم لزواجها وإنجابها له! ندم على هدر شبابها وجمالها في حياة زوجية رتيبة!

لن ينسى أبدًا تلك السنة الكئيبة التي انجرفت فيها وراء حب ملعون وطلبت الطلاق من أبيه غير مبالية به أو بمشاعره، حاول والده كثيرًا إعادتها لعقلها دون جدوى، حتى نفّذ طلبها وطلّقها في النهاية، لكنّ مغامراتها الفاشلة كانت قد انتهت أيضًا وتركها الذي تركتهما لأجله، بالتأكيد لأنه اكتشف كم هي أنانية غير ناضجة لاتصلح لأن تكون زوجة وأمًا.

تنقل في طفولته وشبابه بينها وبين أبيه الذي رفض إعادتها وتزوج من أخرى، وكيف يلومه؟ أمه السبب في كل ما حدث، ولولا توسلها إليه لما وافق أن يعود ليعيش معها وهو في الجامعة، لكنه لم يحترمها يومًا وهو يرى نظرتها التواقة الهائمة بحثًا عن حب جديد أو مغامرة تُرضي مشاعرها المراهقة! منكرة تقدمها في العمر وانطفاء وهج جمالها.

ليست أبدًا مثل (غادة)!

(غادة) رائعة الجمال، قوية الشخصية، في البداية لم يصدق أنه أُعجب بامرأة متزوجة، لكنها استطاعت تحويل هذا المسار المدمر لصداقة مثالية رائعة مثلها، استطاعت أن تفرض عليه احترامها وحدودًا يعرف أن مقابل عدم التزامه بها؛ خسارتها.. وهو لن يرضى أبدًا بهذا المقابل.

وصل عمله في شركة الأعمال الهندسية أهدأ قليلاً وهو يعترف بما يعكر مزاجه من الأمس، تلك الرحلات التي أصبح من أكبر مشجعيها في جروب "هواة التصوير الفوتوجرافي" لالتقاط الصور وتطوير المهارات وإقامة المسابقات،

سبب حماسه الأكبر لها هو تمكنه من رؤية (غادة) حتى لو كانت لا تتحدث معه كثيرًا أو تعامله كأي فرد في المجموعة، كان سعيدًا حتى فوجئ بقدوم زوجها لاصطحابها في العودة، ابتسامته لها.. تلك الحركة التي سببت له ألماً في معدته وهو يمسح برقة خصلة شعر صغيرة ناعمة انسدلت من طرحتها ليعديها إليها، كل ذلك حوّل يومه السعيد إلى إحباط تام!

- (شريف)! قلت لك صباح الخير مرتين ولم ترد.. نحن هنا!

حاول إخفاء انزعاجه وهو يلتفت لـ(سارة) زميلته، كانت فتاة مجتهدة في عملها، محجبة عادية الجمال، شعر بإعجابها الخفي به منذ أن انضمت إليهم في الشركة ولم يهتم.

- صباح الخير يا (سارة)، أهناك شيء؟

بدت محرجة وهي تقول مبعدة نظراتها عنه:

- لا، كنت أتأكد أنك بخير.

- شكرًا.

قالها وهو يبدأ عمله محاولاً تصفية ذهنه، لكن بعد دقائق عادت (سارة) تقول:

- كنت أريد.. سمعت أنك.. مشترك في جروب للتصوير، وأنا أحبه جدًا.. فكنت أريد أن أشترك معك.

قال دون اهتمام:

- أي شخص يريد الانضمام يرسل طلب إضافة للمسئول عن المجموعة وغالبًا سيقبله، لا توجد شروط مسبقة.

رمقته بعينين واسعتين مترددتين، فتذكر أُمه للحظة، قبل أن تقول:

- أيمكنك أن تساعدني؟ فليست لدي خبرة في أمور الإنترنت هذه.

ابتسم قليلاً ساخرًا، وهل هناك فتاة اليوم ليس لديها خبرة في "أمور الإنترنت هذه"!

- إن لم يكن هناك إزعاج لك.. سأتصل بك في المساء لتكون معي وأنا أقوم بالخطوات.

هز رأسه محاولاً إخفاء مللة وهو يقول باختصار لينهي الموضوع:

- ليس هناك إزعاج أبدًا.

وحاول التركيز على عمله مبعدًا طيف (غادة) الجميل عنه.. هل يدرك زوجها ذاك كم هو محظوظ!

obeikandl.com

أخذت تُمسد شعر ابنتها الجميل المنهمكة في أداء واجبها المدرسي، تراقبها بنصف تركيز وعيناها تتجهان رغمًا عنها لزوجها الذي يجلس على الأريكة يشاهد مباراة كرة قدم.

اتسعت الهوّة كثيرًا بينهما الفترة الماضية منذ شجارهما الأخير، ولم يتغير كثيرًا.. مازالت مكالماته مع (نيفين) وغيرها مستمرة، فقط بات يجريها وهو يظنها مشغولة في المطبخ أو مع الطفلين لا تسمعه، وبالرغم من ذلك اشتاقت للحظات الصفاء بينهما.

عندما أصر أمس على الهاتف فجأة أن يعرف مكانها بالتحديد ليأتي ويأخذها ضايقها تصرفه وظنته يتعمد إزعاجها، كانت مع مجموعتها في نادٍ يطل على النيل لأخذ صور الغروب من أجل المسابقة، أمضت وقتًا لا بأس به والتقطت بعض الصور، ظنت أن مجيء (ماجد) سيُفسد يومها، لكن عندما أتى بوجه مبتسم لطيف لم تشعر سوى بأنه يحاول إظهار اهتمامه بشكل ما.

لِم لا تجرب أن تحبه بطريقته ليستريح كلاهما؟ فربما حينما لا تُعطي أكثر مما تأخذ لن تشعر أنه يبخسها حقها، ربما إذا لم تتوقع منه أن يُعاملها كملكة في النهار كما يفعل في الليل ستكون أقل خيبة وإحباطًا.

لن تنتظر منه أن يُحدّثها كثيرًا، أو يكتفي باحتضانها طويلاً، لن تنتظر منه غزلاً في جمال عينيها، أو حتى أن يراهما، ستظهر حبها في حفاظها على أسرتها

ومراعاتها لها، فهو يقول دومًا إنه يحبها بالأفعال.. وإن كانت الأفعال تقتصر عنده على تفوقه في عمله فقط، دون أن يهتم بالتوقف عن "الأفعال" الحقيقية التي تُهينها أو تُؤلمها.

مكثت في غرفتها بعد أن أنامت الطفلين في موعدهما تنتظره، رأت السعادة التي توقعتها على وجهه وهو لا يجدها تُحاول النوم أو مشغولة تتهرب منه بأكثر من حجة، كما دأبت الفترة الماضية..

احتضنها بشوق فغمرتها سكينة تمنت أن تدوم طويلاً، قبل أن تُذكّر نفسها بعهدها الجديد وتُحاول ألا تأسى كثيرًا على عمر حضنهما القصير، وهو يتلاشى سريعًا بين رغبات متوهجة أخرى أشد إلحاحًا لديه.

***

جلست أمام حاسوبها كالمعتاد بعد ذهاب (ماجد) لعمله والطفلان للمدرسة، وأخذت تُتابع الصور والتعليقات الحديثة بعد الرحلة الأخيرة للمجموعة، بدت تلك الرحلات لطيفة رغم أنها لم تكن متحمسة للذهاب في البداية، لكن (لمياء) كالعادة كانت الأشد نشاطًا وإصرارًا لتجميع أكبر عدد ممكن لالتقاط الصور وإقامة مسابقة أسبوعية، وبذلك تضمن استمرار اللقاءات وبحثها المستمر عن عريس مناسب.

ربما لو كانت أصغر عمرًا لرشحتها لـ(شريف)، رغم أنها غير واثقة أنه كان سيرضى بهذا الاختيار، فقد عرفت عنه الكثير الفترة الماضية، وتعرف أنه لن يرضى إلا بعروس كاملة تقريبًا.

"أخيرًا! أين اختفيتِ اليومين الماضيين؟"

وجدت رسالته تظهر بعد دقائق قليلة، فكتبت:

"أهلاً يا (شريف)"

"هل رأيتِ عدد المعجبين بصورك الأخيرة؟ أراهنكِ أنكِ ستفوزين...أنتِ موهوبة جدًا"

ابتسمت قليلاً وهي ترد:

"لا تجاملني، المبدعون كثيرون في الجروب كما يبدو، وصورك نالت معجبين أكثر، أنت ماهر فعلاً في التصوير، لابد أن عملك في الهندسة أفادك"

"الطبيعة الجميلة هي التي تفيدني... للأسف نقطة ضعفي الجمال"

"لو كانت نقطة ضعفك فعلاً لما تركت خطيبتك السابقة، من الجيد أن يحرص الرجل على رؤية ما هو أكثر من الجمال في المرأة التي يريد الارتباط بها"

جاء رده متأخرًا قليلاً:

"لقد رأيت زوجك... يبدو لطيفًا"

"هذا صحيح، شكرًا"

"كان يبدو...سعيدًا...بالطبع وكيف لا يكون سعيدًا ومزهوًا بزوجة مثلك؟ لا أتوقف عن التفكير في كم هو من القلائل المحظوظين الذين حظيوا بزوجة مثالية"

كانت تعرف أن هذا صحيح، فردت باختصار:

"شكرًا، أليس لديك عمل تؤديه الآن؟"

"بالتأكيد...لكن تعرفين أنني لا أستطيع تفويت فترة وجودك الصباحية دون إلقاء التحية عليكِ...(غادة)...هل يمكنني سؤالك عن شيء أخير؟"

توجست قليلاً وردت: "تفضل"

"هل أنتِ سعيدة؟"

ضحكت تلقائيًا من السؤال:

"هل هذا هو السؤال الخطير؟ لكن عمومًا يمكنك القول إني كذلك"

"حسنًا...جميل...كنت فقط أطمئن عليكِ...أراكِ لاحقًا"

أرسلت وجهًا مبتسمًا وبقيت مكانها شاردة حتى بعد أن أغلقت الصفحة. هل أنتِ سعيدة؟

فكرت مجددًا في السؤال بتمهل هذه المرة، بدا وصف السعادة عامًا جدًا وغير محدد.. وسألت نفسها: الأدق هل أنال ما أستحق؟!

obeikandi.com

مابين متطلبات المنزل والطفلين وزوجها تشعر أحيانًا وكأن للجميع حقوقًا عليها لا يجب ولا تستطيع التقصير في أي منها.. حتى ركن الفضيات في منزلها له حقوق عليها!

ففي أي ركن من حياتها كربة منزل تجد حقوقها؟ ومِن مَن ولا يوجد مانح محقوق للجميع سواها؟

كانت تعشق طفليها، لكن المشكلة مع (ماجد) الذي لايفكر أن لزوجته حقوقًا إلا في مجالين، الإنفاق والمعاشرة، ومادام لا يُقصّر فيهما فما الذي يمكن أن تطلبه المرأة أكثر من ذلك؟

لذا استمرت في قرارها الأيام التالية وعاملته بالمثل، كان صعبًا في البداية أن تحتفظ بوجه غير مبالٍ في الصباحات التالية لليالهما الحميمة، لكن النظر إلى وجهه العادي جدًا وعصبيته المعتادة وهو يرتدي ملابسه قبل نزوله للعمل ساعدتها كثيرًا في أن تبدو وتشعر بهذه اللامبالاة نحوه.

فإذا كان هذا هو الحب في نظره فستُحبه بالمثل، لعلها تفهم فعلاً كيف يُحب الرجل.

اتصلت بـ(مريم) ذات صباح تُعاتبها:

- وكأنكِ نسيتِ تمامًا أن لك صديقة اسمها (غادة) منذ أن عاد (يوسف) باشا لحياتك!

أتتها ضحكة (مريم) سعيدة صافية قبل أن تقول:

- لا تغضبي مني يا حبيبتي، أعرف أنني مقصرة، لكني أُوازن بصعوبة بين عملي وأمي و(يوسف)، تعرفين أن انشغالي عنه بالكتابة سبب مشاكلنا الأول.

- أعرف، أنانية الرجال المعتادة، لن أسامحكِ إلا لو أخبرتِني أنكما حددتما موعد الزواج.

- زواج؟!

- نعم زواج! وكأنكِ تسمعين الكلمة لأول مرة! ألم يفاتحكِ في ذلك بعد؟

- لم نتحدث في ذلك صراحة.. مازلنا نوطد علاقتنا.

قالت (غادة) ساخرة:

- في خمس سنوات أخرى؟! (مريم)، أفيقي! لن تبقي مخطوبة للأبد، بل حتى أنكما الآن لستما مخطوبين!

ردت (مريم) بانزعاج واضح:

- لن تفهم شخصية واقعية مثلك روعة الفترة التي نعيشها الآن.. لا يهمني التفكير في شيء آخر.

وخزتها الكلمات قليلاً، سكتت لثوانٍ، في حين تابعت (مريم) بنفس حالمة:

- أتعرفين الشهد يا (غادة)؟ إنها تلك الفترة في بداية كل قصة حب، الشغف.. اللهفة.. الاحتراق.. الألم اللذيذ! كل هذا بالنسبة لي فترة الشهد في أي علاقة، ولا أريد لهذه الفترة أن تنتهي.

obeikandl.com

حافظت (غادة) على سخريتها قائلة:

- وأنتِ لن تتجاوزي هذه الفترة أبدًا مادام لا يهمك التفكير في شيء آخر، أنا أريد مصلحتك.

تنهدت (مريم) وقالت:

- أعرف.

صمتت (غادة)، قبل أن تقول مغيرة الموضوع:

- ألن أراكِ قريبًا؟ لماذا لا تمرين بي صباح غد؟

- لدي كومة أعمال يجب أن أنهيها، لكن سآتي طبعًا.. ليس غدًا، لكن قريبًا خلال هذا الأسبوع إن شاء الله.

- كما تريدين، المهم.. انتبهي لنفسك جيدًا.

- وأنتِ أيضًا حبيبتي.

زفرت (غادة) بعد انتهاء المكالمة وشعرت بالقلق على صديقتها، ليتها تدرك فعلاً الطريق الذي تسير فيه.

"فترة الشهد"

حاولت تذكّر بدايات علاقتها بـ(ماجد).. وتذكّر إن كانت مرت بتلك الفترة فعلاً أم لا؟

obeikandl.com

لكن كل شيء كان سلسًا ومبهجًا بينهما، كان مفتونًا بها بوضوح، ورغم أنه لم يكن أول معجبيها أو الوحيد لكنها وجدت مشاعرها تنتقيه وتنحاز له من بين الجميع، انجذبت لطلّته القوية وهالة الحيوية المحيطة به، كانت تشعر في أوقات كثيرة أنه يمكنه أن يفعل أي شيء لأجلها، وبطرق مجنونة لا يطرقها سواه.

فلماذا لم تعد تلمس كل ذلك في مشاعره الآن؟ ولماذا تشعر بهذا الخواء في علاقتها الجديدة معه، وهي تحاول أن تحبه بطريقته المختلفة بعد الزواج؟

لاحظت أيضًا أن بعض القلق انتقل إليه، ربما ليس على الفور.. ولزمته بضعة أسابيع حتى يشعر أن هناك تغيرًا فيها، فذات ليلة كانت في غرفتها تسترخي مع فنجان الشاي الأخضر، بعد وضع الغداء وغسل الصحون ومتابعة (زيد) و(رزان) في أداء واجبهما المدرسي، الذي لا يزيد عن كتابة الحروف الأبجدية بالعربية والإنجليزية، لكن حثهما للقيام به كان مرهقًا كما لو أنهما في الثانوية العامة؛ حينها فوجئت بـ(ماجد) ينضم إليها بدلاً من مشاهدة التلفاز أو المزاح مع زميلاته في العمل، جلس بجانبها على الفراش، وعندما همّت بالنهوض أعادها بلطف مثبتًا كتفيها على وسادة خلفها، قالت معترضة:

- الوقت ليس مناسبًا الآن!

قال ينظر إليها كأنه يبحث في وجهها عن شيء ما:

- أريد ان أتحدث معكِ.

- تتحدث؟! فعلاً؟

قالتها بنبرة تشكك ساخرة، ابتسم قليلاً يداعب خصلات شعرها البنية الناعمة وهو يميل نحوها قائلاً:

- لا أنكر أنني أريدك بمجرد النظر إليكِ، أنتِ زوجتي وحبيبتي، لكني أشعر أن هناك شيئًا.. مختلفًا فيكِ.

تمنت ألا تبدو نظرة الانتصار بادية في عينيها كما تشعر داخلها، وقالت ببساطة:

- لا أفهم ماذا تقصد؟

نظر لوجهها متأملاً وكأنه عاجز عن تحديد هذا الشيء، وكانت تتوقع كما حدث مرارًا أن يتنهي الحديث فجأة ليُقبّلها وينسيا الأمر، لكنه سألها بجدية:

- مازلتِ غاضبة مني بسبب شجارنا، أليس كذلك؟ (غادة)، أنتِ تعرفين أنني أبدًا لم أمد يدي عليكِ أو أؤذيك منذ أن ارتبطتُ بكِ وتزوجتكِ، لكن أقسم بالله أن خروجك بهذه الملابس ورؤية الرجال الآخرين لك بها أثار جنوني! تعرفين كم أغار عليكِ.

أبعدت يديه من حولها وهي تتنهد وتبتعد قائلة:

- لقد نسيت هذا الأمر.

نظر لها وهي تُسرّح شعرها بسرعة وتتجه لباب الغرفة:

- حقًا نسيتِ؟ حتى موضوع توصيلي لـ(نيفين)؟ صدقيني الأمر ليس كما يبدو لك، هكذا هي شخصيتها، لاتقصد سوءًا.

بدت في عينيها نظرة باردة، قبل أن تقول:

- سأذهب لأطمئن على (زيد) و(رزان).

وغادرت الغرفة ساخطة تردد في نفسها، لن أسامحك يا (ماجد) حتى تتوقف عن كل ما يهين كرامتي ومشاعري وتقطع علاقتك تمامًا بهن!

وهو ما شكت أن يفعله يومًا.

***

لم تكن تنوي الذهاب في رحلات تصويرية أخرى بعد المرة الأخيرة التي اصطحبها فيها (ماجد)، وطلب منها بمودة ألا تذهب مجددًا لوجود شباب في المجموعة، استجابت لطلبه وقررت فعلاً أن تفعل ما يرضيه.. حتى كانت تلك الليلة التي ألحت عليها رغبة التفتيش في هاتف زوجها ورؤية مدى صدقه معها، وكانت صدمتها الكبرى..

وجدت عشرات الرسائل المتبادلة بينه وبين (نيفين) و(سمر) و(عبير) وغيرهن على برنامج الـ"whatsApp"، كلها مزاح ولهو لا علاقة له بعملهم، واتسمت رسائل (نيفين) كالعادة بالبذاءة والتلميحات الجنسية، وقفت مسمرة ممسكة بهاتفه حتى رآها وبدا وجهه مرتبكًا حانقًا، لكنها لم تنطق بحرف، حدجته بنظرة نارية محتقرة وأعطته الهاتف ودخلت غرفتها، لم يحاول هذه المرة

مراضاتها أو توضيح موقفه، بل اتهمها بحبها للنكد وإثارة المشاكل، ثم لم يعد كلام بينهما ليقال.

وهكذا قررت أن تمضي في معاملته بالمثل وعدم مراعاة مشاعره، غير مبالية بالشجار الذي سيلي عودتها اليوم.

استقبلتها (لمياء) بترحاب ودي كالعادة، كان اللقاء في حديقة رائعة بالمعادي لالتقاط صور الأشجار هذه المرة، وكانت مجموعتها المقربة مكوّنة من امرأتين أخرتين مع (لمياء)، لكن لم تلبث كل منهن أن أخذت كاميرتها لتمشط المكان بحثًا عن اللقطات الأفضل، ولم تكد تبتعد عنهن قليلاً حتى وجدت أمامها على مسافة قريبة (شريف) وبجواره فتاه شابة متأنقة هادئة الجمال.

رفع رأسه نحوها كأنه شعر برؤيتها لهما، وتقدم نحوها مرحبًا بابتسامة دافئة، ردت على ابتسامته ببسمة صغيرة، وهو يقول:

- سعيد أنكِ أتيتِ، لم تُؤكدي على حضورك في الصفحة.

قالت لا تريد التفسير:

- لم أكن قد حسمت رأيي بعد.

لمستها نظرة الاهتمام في عينيه، فحوّلت عينيها عنه وقالت مشيرة للكاميرا الحديثة في يده:

- أهذه كاميرتك الجديدة؟ تبدو رائعة للغاية.

أبعد عينيه عن وجهها لينظر للكاميرا قائلاً:

- الكاميرا؟ آه.. نسيت أن أعرفك على (سارة)، إنها كاميراتها.

والتفت يبحث عن الفتاة التي كانت تُراقبهما من مكانها، قبل أن تنضم إليهما وهو يتابع:

- (سارة) زميلتي في العمل، وانضمت حديثًا لجروب التصوير.

ردت (غادة) بابتسامة مجاملة:

- أهلاً، فرصة سعيدة، سأترككما لألتقط بعض الصور.

ردت (سارة) تُبادلها الابتسام:

- أنا أسعد يا فندم، تفضلي.

تجاهلت (غادة) مجددًا نظرات (شريف) غير المتقبلة لابتعادها، وسارت أبعد مسافة ممكنة عنهما، لم تكن رائقة المزاج لالتقاط أي صور، لم تُثر تلك الهواية شغفها كما ظنت، أم هو (ماجد) سبب إحباطها في كل شيء؟ تعبت وملّت من التحدث معه، وتعبت أكثر من إحساسها بكرامتها المهدرة وعدم تقديره لها.

ثم ما "يا فندم" هذه؟!

أتظن تلك الفتاة أنها تكبرها بكثير؟! إنها تبدو أكثر شبابًا وجمالاً من تلك الـ(سارة) بالتأكيد!

obeikandl.com

لا تعرف لماذا أحضرها شريف معه، هل هي مجرد "زميلة عمل" فقط؟

لم تشعر بذلك، واختلست نظرة أخرى نحوهما فتلقتها عينا شريف على الفور بشكل أربكها كأنه في انتظار هذه النظرة.

لفها اضطراب غير مريح وقررت الرحيل ووداع صديقاتها، لكن قبل أن تصل إليهن استوقفها (شريف) ثانية قاطعًا طريقها وهو يقول بحماس:

- سأريكِ الصور التي التقطتها، الكاميرا مذهلة فعلاً!

توترت وسألته:

- وأين (سارة)؟ ألم تُصوّر هي شيئًا؟.

أطلق ضحكة أضفت له جاذبية قبل أن يقول:

- إنها لا تجيد مسكها تقريبًا، مازال أمامها الكثير لتتعلم.

ابتسمت قليلاً وسمحت له أن يعرض لها الصور، اقترب منها ليقف جوارها يريها اللقطات واحدة تلو الأخرى، لفتت انتباهها رائحة عطره الهادئ.. الدافئ، وتذكرت عطر (ماجد) الفوّاح دومًا أكثر مما يجب.. حتى في عطره لا يهتم لرأيها.

ابتعدت عنه بضع خطوات وهي تقول ناظرة لساعة يدها:

- الصور رائعة فعلاً، لكني مضطرة أن أرحل الآن.

obeikandi.com

هتف مصدومًا محبطًا:

- ماذا؟! الآن؟! اليوم لم يبدأ بعد! أنتِ لم تكملي ساعة!

- وعدتُ (زيد) و(رزان) ألا أتأخر، وسأتناول معهما الغداء بالخارج.

بدت عيناه ذهبيتان بمسحة من لون الشجر حولهما، حدّق بها بنظرة متوترة منفعلة، وسأل:

- هل ستأتين المرة القادمة؟

هزت رأسها وهي تستدير مبتعدة:

- لا أدري، عن إذنك.

وتركته واقفًا مكانه على وجهه خيبة، وفي عينيه شوق تظاهرت أنها لم تره.

شيء من التعقل داخلها حثها على قطع صداقتها به، ربما لا يُمثل لها أكثر من صديق، لكنّ ما يبدر منه دومًا يدل على العكس.

المشكلة أنها اعتادت التحدث معه عبر الفضاء الافتراضي، شعرت بالراحة في الإفضاء إليه بأفكارها وآرائها في الحياة والناس، وكان دومًا يُقدّر كلماتها ورأيها ويمتدح حكمتها وثقافتها بشكل يرضيها ويسبب لها نوعًا من السعادة.

لم تتوقع أن تشعر بهذا التململ والفراغ وهي تُحاول مقاطعته بضعة أيام لا ترد على رسائله، فكرت أنها ربما تحتاج لهذه الصداقة، فهي صداقة مختلفة

عن صداقتها بـ(مريم) مثلاً، التي تسخر من محاولة نصحها ولا تُقدّر قلقها عليها.

كانت لاتزال مترددة في أمره حتى وصلتها رسالة يوم الجمعة وهي تُمضي عطلة الأسبوع عند والديها، يخبرها فيها أنه يفكر في خطبة (سارة) ويريد رأيها، وجدت الحجة مقبولة وقررت أن ترد عليه:

"وما سبب التردد؟ تبدو فتاة لطيفة ومهتمة بك"

جاء رده سريعًا كالعادة كأنه كان ينتظر دخولها:

"أخيرًا رددتِ! لماذا كنتِ تتجاهلينني الفترة الماضية؟"

"إنها مجرد بضعة أيام، كنت مشغولة"

"ليتكِ تكونين صريحة معي..."

"ماذا تقصد؟ ثم إن المهم الآن موضوع (سارة)"

صمت بعض الوقت، قبل أن يكتب:

"حسنًا...موضوع (سارة)...كيف عرفتِ أنها مهتمة بي؟"

"يكفي أنها اشترت كاميرا غالية كهذه وهي لا تعرف شيئًا عن التصوير فقط لتكون معك في نفس الهواية"

"أنتِ ذكية جدًا...هذا بالضبط ما حدث!"

obeikandi.com

ضحكت في نفسها وردت:

"المرأة تُظهر اهتمامها بأشكال شتى، وقد تذهب لأبعد حد، أما الرجل.. في الحقيقة.. لا أعرف كيف يفكر!"

"لا أصدق أنكِ جادة في هذا...ألا يبدو واضحًا لكِ أبدًا كيف يكون اهتمام رجل ما بامرأة؟"

غامرت وسألته، وهي لا تُفكر في العواقب:

"أخبرني مثلاً كيف يحب الرجل؟ أعني...لماذا لا يكون حبه راقيًا كحب المرأة؟"

"راقيًا؟!"

شعرت أنها ورطت نفسها، وردت بوجه يشتعل حرجًا:

"لا عليك...لنغير الموضوع"

لم يكتب شيئًا ما يقرب من دقيقة حتى ظنته غادر، ثم وصلها كلامه فجأة:

"لو تظنين أن هناك رجلاً يمكن أن يحب امرأة بجمالك حبًا عذريًا فأنتِ حقًا لا تعرفين شيئًا عن الرجال"

"كيف تتحدث معي هكذا؟ لا تجعلني أندم للحديث معك!"

"أتعلمين أنني رأيت غير (سارة) عروستين خلال الفترة الماضية؟ وكل ما كنت أفكر فيه أيهما تُشبهك أكثر؟!"

obeikandl.com

أغلقت شاشة حاسوبها بسرعة وابتعدت خطوتين للوراء..

عليها ألا تُكلمه ثانية، لقد تجاوز حدوده معها!.

جلست على فراشها في غرفتها ببيت أسرتها، تنظر لحاسوبها بشرود.. تقاوم

شعورها بنوع من السعادة والزهو لتأثر شريف بها لهذا الحد، كانت واثقة أنه سيتدارك خطأه بسرعة ليحافظ على صداقته بها، لكنّ هذ إن لم تُنهي هي هذه الصداقة، وهو ما يجب أن تفعله دون تأخير.

بدت الليلة طويلة جدًا حتى نامت أخيرًا، وفي اليوم التالي تجنبت فتح الجهاز ورؤية رسائله، حاولت الاندماج مع والديها وطفلها قبل أن يأتي ماجد ليعيدهما للمنزل، فمرّ الوقت بملل شديد.

وفي صباح الأحد لم تستطع مقاومة فتح صفحتها لترى إن أرسل لها شيئًا أم لا، لكن فوجئت بانتظاره لدخولها الصباحي.

"الحمدلله...خشيتُ ألا أراكِ مجددًا...كنت سأُجن!"

ردت والحدة تمتزج بتوترها:

"أنا فعلاً دخلت الآن فقط لأخبرك أنني لن أتحدث معك ثانية، ولن أسامحك على تجاوزك في الكلام معي"

"لن أنكر ذنبي...لكن لا تتخلي عني...اعتبريني شخص يعاني من مشكلة كبيرة ويريد نصيحتك"

"لا أظن أن هذا ممكن"

"لا يمكن لشخصية مثالية مثلك أن تترك شخصًا في حاجة إليها...أريد نصيحتك...ماذا أفعل مع حب يسيطر عليّ ويطرد أي منطق من تفكيري؟ أرجوكِ أجيبيني"

كتبت بحدة متوترة المشاعرة:

"حبك لا مستقبل له.. وأنت تعرف ذلك مسبقًا"

صمت كثيراً ثم كتب:

"إذن دعينا نتظاهر أنني لم أقل شيئًا...فقط لا تتخلي عني"

ترددت.. لم تكتب شيئًا لوقت طويل، حتى ردت في النهاية:

"لا أعرف إن كان يمكننا هذا.. لا أعرف"

وظلت على حيرتها الأيام التالية.. وهي تتحدث معه، انتابها مزيج متباين من المشاعر.. لم تستطع الابتعاد.. كرهت فكرة أن تخلو أوقاتها من محادثاته، لكنها كانت تعرف أيضًا أنها تستطيع السيطرة على تلك المشاعر التي يتظاهران بعدم وجودها.

"هل تظنين أن فكرة خطبتي لسارة جيدة حقًا؟"

obeikandl.com

سألها ذات يوم، وعرفت أنه يتعمد إثارة غيرتها، فلم تكن المرة الأولى التي يذكر فيها سارة الفترة الأخيرة.. كان يستغل اسمها دومًا لاستفزاز مشاعرها.. لكن لماذا تغار؟! إنها لا تهتم أصلاً!

ردت:

"نعم، أظن ذلك"

"حتى لو لم تكن تشبهك؟"

ردت بحدة:

"بالطبع لا تُشبهني! وما دخلي أنا بينكما؟"

"لا شيء، إنها فقط تتصل بي يوميًا...كل مساء، وتتحدث معي كثيرًا في أي شيء...لذا تذكرتها وأنا أكلمك"

اعتمل الغضب مع شعور حارق في قلبها، وقررت ألا ترد عليه..

"غادة؟ هل ضايقكِ كلامي؟ أنا آسف...تعرفين أنه لا يهمني أحد في الدنيا غيرك."

شعرت بالذنب والخجل من نفسها..

بأي حق تشعر بالغيرة أو الغضب؟ لماذا لا تشعر أنها تُسيطر على الأمر كما تخيلت أنها تفعل؟

obeikandl.com

كتبت مكللة بالحزن والحيرة:

"شريف.. أظن أننا.."

أرسل لها بسرعة:

"أريد سماع صوتك...هل يمكنني ذلك؟ ولو لدقيقة واحدة؟ نصف دقيقية!"

ارتجفت أصابعها وهي تكتب:

"هل جننت؟ كلا بالطبع!"

"ألا تريدين سماع صوتي يا غادة؟"

تسمرت أمام سؤاله خجلاً.. وخزيًا.. اختنقت أنفاسها عاجزة عن الرد.. وعن الكذب..

وواجهت مشاعرها بوضوح لأول مرة.. أتشتاق إليه؟ أتريد رؤيته؟ سماع صوته هي أيضًا؟! كيف تركت نفسها تتعلق به!

"لماذا لا تجيبينني؟ هل أجيبك أنا عن سؤالك الذي سألتِه يومًا وهربتِ من إجابتي؟ هل أخبركِ كيف يهتم رجل بامرأة؟ كيف يحبها؟ كيف لا يفكر إلا بها ويحلم بها كل ليلة؟ حتى لو كان يعلم أنها حلم مستحيل! الصورة التي أرسلتها لكِ ليست الوحيدة، أتعلمين كم صورة لكِ عندي؟ فُتنت بكِ من أول نظرة ولم أشعر بنفسي إلا وأنا ألتقط لك صورة تلو الأخرى...كل يوم أنظر فيهم.. أنظر لكِ...أتمنى لو أراكِ ولو لدقيقة واحدة...لو أسمع صوتك مجددًا...أنتظر

obeikandi.com

تلك الرحلات السخيفة فقط لأراكِ وأقترب منك...أعرف أنك ستكرهينني لهذا الكلام...لكن لا يمكنني كتم مشاعري أكثر...أنا أتعذب!"

أغلقت شاشة حاسوبها بسرعة ونهضت واقفة تُمسك رأسها بيديها وشعور بالعار يحرقها، كيف سمحت له أن يصل لهذا الحد؟! كيف وصلت هي لهذا الحد؟!

لماذا فعل ذلك؟! لماذا باح بما ينكرانه؟! لماذا حطّم العلاقة الوحيدة التي كانت تمنحها شيئًا!

وكرهت زوجها أكثر.. كرهته لأنه جعلها تنتظر الاهتمام والتقدير من رجل آخر.. كرهته لأنه جعل في قلبها شوقًا لرجل آخر.

كانت مشاعرها وأفكارها تغلي الأيام التالية، ساءت علاقتها كثيرًا بـ(ماجد)، حتى إنه لم يعد يُلحّ عليها في علاقتهما الخاصة، انتقل الخواء إليه.. واكتسحها انتصار مُرّ وهو يشعر بما طالما أشعرها به.

ملأ (شريف) صندوق رسائلها بعشرات من رسائل الاعتذار والتوسل، رجاها أن تنسى ما قال ويعودا أصدقاء كما كانا، أقسم لها إنه لن يضايقها مجددًا بمشاعره أو يتحدث عنها.. وأنها أروع وأنقى امرأة قابلها في حياته، فقط تمنحه فرصة أخيرة لأنه لا يستطيع العيش دون كلماتها التي تُضيء أيامه.

كانت تقرأ رسائله دون أن ترد، وكان صعبًا جدًا ألا ترد، صعب لدرجة الألم، فازدادت تعاسة وتوسلاته وكلماته الحارة تُلاحقها في نهارها ولياليها، خاصة بعدما بات (ماجد) يتركها أغلب اليوم، في البداية كان يتشاجر معها ويُطلق

لغضبه العنان في النهار بسبب أي شيء وكل شيء، ويصمت مكتئبًا في الليل، ثم بدأ يخرج مع أصدقائه مرة تلو أخرى، حتى بات يقضي لياليه كلها بالخارج معهم، لدرجة أنها شكت في براءة تلك السهرات، ولم تستطع التأكد إن كان بها نساء فعلاً أم لا.

وبعد ما بدا دهرًا بينهما، حاول التقرب إليها ذات ليلة، رفضت غريزيًا، ثم أجبرت نفسها على السكينة التي كانت تشعرها بين ذراعيه، لكن حتى ضمته بدت غريبة مختلفة، وما إن أغمضت عينيها حتى رأت أمامها عينين ذهبيتين بمسحة بلون الشجر..

أجفلت مبتعدة عنه تلقائيًا، فسألها متحفزًا:

- ماذا بكِ؟

تخبطت ضربات قلبها، وشعرت بجفاف في حلقها، قالت محاولة السيطرة على ذعرها:

- متعبة، لستُ مستعدة الآن.

انفجر غاضبًا:

- وما الوقت الذي يناسب جنابكِ؟! أتعرفين منذ متى لم أقترب منكِ؟!

قالت بحدة متوترة الأعصاب:

- أعرف! لكني متعبة الآن، أليس من حقي أكون متعبة وأنا أخدم فيكم وفي البيت طوال اليوم؟!

obeikandl.com

- وماذا تفعلين أكثر من أي امرأة أخرى! والشغالة التي تأتي باستمرار ما فائدتها؟ نوفر مصاريفها إذن!

- الشغالة التي تتحدث عنها تأتي مرتين في الشهر! وأنا التي أقوم بكل شيء في هذا البيت من طهو وتنظيف وكل شيء! فعلاً ليس لديك ذرة إحساس أو تقدير لكل ما أفعله!

- (غادة)! ليس لدي طاقة للشجار الآن! وتعلمين أنكِ إذا ذهبتِ للنوم وأنا غاضب عليكِ ستلعنك الملائكة طوال الليل!

ردت بمرارة:

- ومن أخبرك أن الملائكة ستنحاز لك؟

وكأنه يتوقع أنها هكذا ستدخل بسرور بين ذراعيه!

اشتعل وجهه غضبًا وقال من بين أسنانه:

- ستندمين يا (غادة)! وويل لك إذا خرجتِ من هذا المنزل ثانية!

أسرعت مبتعدة لاجئة لغرفة طفلها النائمين، وبعد قليل سمعت صوت صفق باب المنزل بعنف..

جلست على أرضية الحجرة تبكي بصمت وتضم ساقيها إليها.. تطاير كل غضبها وافتعالها الشجار كغبار لا قيمة له..

وبقيت حقيقة واحدة تذبحها.. رؤيتها لوجه رجل آخر وهي بين ذراعيّ زوجها.

"أُحبك.. وأخشى عليك مدي وجذري وتقلبات مزاجاتي..

أُحبك.. وأحلم أن أكون عروسة البحر التي تأخذك معها للأعماق..

أُسكرك بغرامي.. وتعيدني أميرة بقبلاتك..

أُحبك.. فلا تُحب المرأة رجلاً بقدر من يثير شهيتها للحب سوى من يثير شهية خيالها.. وأنت وحيي وخيالي..

أُحبك.. وأعلم أنك سيد قلبي.. وأنك بعض روحي.. بل كل روحي.. فمثلك لا يرضى إلا بالفناء فيه أو الفناء بعده"

نشرت كلماتها ليلاً وانتظرت مكالمته التي أتت بعد دقائق معدودة.

- وأخشى أنا أن أصدق أن تلك الكلمات لي.

ردت بحب:

- ولمن ستكون غيرك؟

- أحد أبطالك، ألم يحدث هذا من قبل؟

- لا.. لا! كل كلمات الحب لك، حتى لو نقلتها لرواياتي.. ولو قالتها إحدى خيالاتي لحبيبها، فحبهما جزء من حبي لك.

obeikandl.com

صمت فرسمت في خيالها صورة لعينيه العميقتين، ووجهه الآسر وهو يفكر محاولاً تصديقها.

- سأكون مشغولاً الأيام القادمة ولن أتمكن من لقائكِ كثيرًا.

- كم يومًا؟ ومتى سأراك ثانية؟

بدت ابتسامته الخفيفة في صوته وهو يقول:

- لا تفزعي هكذا، هذا الأسبوع فقط.. ربما ألقاكِ في نهايته.

داهمتها حالة شوق مؤلمة دون توقع، خشيت من نفسها ومن حبها له الذي يحتل كيانها ويستولي على كل خلجاتها، حتى بات مجرد خبر فراقه لأيام مضنيًا.. موجعًا لهذا الحد.

أنهت حديثها معه محاولة ألا تُبدي لوعتها البالغة لفراقه، ونامت تعرف أنها ستحلم به.

****

"اتجهت عيناها للمسجل القابع فوق مكتبه، وذهبت لتتفحص أسماء الشرائط المصطفة جواره وابتسامة صغيرة شاردة على شفتيها، وضعت أحدها في المسجل، و(خالد) ينظر لها صامتًا مكتفيًا بسعادة مراقبتها، فرفعت وجهها له وابتسامتها تهتز قليلاً متمتمة:

- أريد تحقيق حلم.. سكنني طويلاً.

obeikandl.com

وتراجعت مبتعدة تود استعادة جمال حلمها بأن ترقص له..

استعادة شعور مليء بالسعادة والزهو بأنوثتها والغرام الذي تود منحه له، بحثت داخلها عن فتاة حالمة لا تريد سوى الحب ولا يملأها سوى الحب، فلم تجدها..

وجدت وجعًا ويأسًا في كل خلية من جسدها، اعتادت الشعور بالألم حتى لم يعد في مقدورها الإحساس بالسعادة..

وجدت نفسًا وجسدًا انقادا باستسلام لزواج قبلت به لأنها لم تستطع مواجهة والديها بالرفض، ولأنها أضعف من أن تبدأ مواجهة..

وجدت فتاة خشيت من انكسار صورتها في عينيّ والديها والناس، فانكسرت هي وانكسر حلمها.. وبقيت الصورة.

صورة فتاة غريبة مهزومة، منكسة الرأس، تقف في حجرة حبيبها تبكي مشيّعةً فتاةً كانتها يومًا، ولم تعرف بموتها إلا الآن.

اقترب منها (خالد) يرفع رأسها إليه بيدين حانيتين وعينين تحتويان روحها، وبحب بالغ لثم ملامحها ململمًا عذابات قلبها بشفتيه، قبل أن يضمها إليه لتجهش بالبكاء على صدره مفرغة كل بقايا الحزن العالقة بأركان عمرها".

ابتسمت بحنان وهي ترمق آخر كلماتها، كانت تعرف أن تلك الأجزاء الإضافية لقصتها ليست للنشر.. بل لها ولأبطالها فحسب.

نهضت تستعد للخروج، تشعر بالانتعاش والسعادة لأنها سترى (غادة) أخيرًا هذا الصباح، لكن عندما اتصلت بها لتخبرها بقدومها غمرها القلق وهي تسمع صوتها الغريب المبحوح، لم تتحدث كثيرًا لكنها رحبت بزيارتها وأخبرتها أنها في انتظارها.

فتحت لها الباب لترى وجهًا شاحبًا وعينين منتفختين من البكاء..
- ماذا حدث يا (غادة)؟ هل أنتِ بخير؟ (ماجد) والأطفال بخير؟

جذبتها للداخل وهي تومئ برأسها وتقول:

- تعالي في غرفتي، (عادل) نائم في غرفة الأطفال.

هتفت (مريم) مصدومة تُفكر بـ(يوسف):

- (عادل) هنا؟ لماذا لم تخبريني على الهاتف؟

توقفت (غادة) تنظر إليها بعينين ينسكب الدمع منهما بغزارة، لم ترها (مريم) هكذا أبدًا من قبل، أخبرتها من بين دموعها:

- لقد فقد الطفل يا (مريم)! ولدته (روان) في الشهر الثامن لكنه لم ينجُ.. مات!

وانفجرت في بكاء حار، حضنتها (مريم) مصعوقة متألمة من الخبر، لكن تصاعد نحيب (غادة) جعلها تتماسك لتأخذها غرفتها كي لا يصل صوتها لـ(عادل)، أخذت تُربت عليها وتُحاول تهدئتها، لكنّ انهيار صديقتها كان بالغًا وغريبًا على شخصيتها.

obeikandl.com

- تماسكي يا حبيبتي، يكفي ما هو فيه، يجب أن تكوني قوية لتشدي أزره.

قالت (غادة) من بين شهقاتها:

- أنا أتماسك أمامه صدقيني، طوال الأسبوع الماضي منذ أن دخلت (روان) غرفة العمليات.. وحدث كل شيء! كنت أريد الاتصال بكِ لتكوني معي.. لكن لم أشأ أن أُثقل عليكِ بكل هذا الحزن.. وعندما أخبرتِني أنكِ ستأتين اليوم أخيرًا انفجر كل البكاء الذي كتمته.

حضنتها (مريم) مجددًا تُربت على رأسها وتقول شاعرة بالذنب:

- أنا آسفة يا حبيبتي، ليتني اتصلت قبل اليوم لأكون معكِ، هوني عليكِ.

- أنا خائفة عليه كثيرًا يا (مريم)، لقد تحطم! وحتى (روان) في منزل والديها ولا تريد رؤية أحد، ولو حتى هو! كيف تُبعده عنها الآن؟ كيف؟! طوال هذا الأسبوع وهو يبيت معي هنا، أخاف أن يحدث له شيء إن تركته حزينًا هكذا وحده.

- سيكون بخير إن شاء الله.. اهدئي يا حبيبتي.

لكن بدا أن هذا مستحيل وبكاؤها لا يتوقف، فسألتها (مريم):

- هل أنتِ بخير يا (غادة)؟

لم تتلقَ إجابة سوى انخراطها أكثر في البكاء، ووجدت أن الكلام لن يُجدي شيئًا الآن، فحضنتها بصمت وأخذت تُربت عليها.

وبعد قليل نهضت (مريم) لتُعد لصديقتها مشروبًا ساخنًا علّها تتماسك، دخلت المطبخ وشبح حزن ثقيل يُخيم على المنزل كله، ارتبكت قليلاً وهي تجد (عادل) يُعدّ فنجان قهوة.. بدا وجهه الوسيم منهكًا غير حليق، وعيناه الخضروان غائمتان.

- مرحبًا.. كيف حالك؟

قالتها متوترة قليلاً لا تعرف ماذا ينبغي عليها أن تقول، لكن بعد دهشته الجزئية لرؤيتها رد بصوت هادئ والحزن مطبوع على وجهه:

- أهلاً يا (مريم).

ترددت ثم قالت:

- البقاء لله، أنا آسفة جدًا.

هزّ رأسه قليلاً دون رد، ثم قال:

- أين (غادة)؟

تقدمت تُشغّل غلاية الماء الكهربائية، وهي تقول:

- تستريح في غرفتها، سأُعد لها فنجان شاي أخضر، هل أُعد لك شيئًا؟

لم يُحب القهوة يومًا، لكنه تمتم بخفوت:

- لا شكرًا.

obeikandl.com

نظرت له بعينين متعاطفتين، ثم قالت:

- سيكون كل شيء على ما يرام، صدقني، قد يبدأ كل شيء فجأة من حيث ظننا أنه انتهى.

نظر لوجهها وشبح ابتسامة خفيفة على وجهه، ثم قال:

- ربما.. من الجيد رؤيتك يا (مريم).

ابتسمت قليلاً حتى ابتعد، وسمعت صوت إغلاقه لباب الغرفة عليه.

عادت لصديقتها ولم تتركها إلا بعد أن هدأت بعض الشيء وتناولت مشروبها، لم تسألها ثانية عن أي شيء.. لكنها شعرت أنها ليست (غادة) التي تعرفها منذ عشر سنوات.

عادت لمنزلها ومأساة (عادل) و(روان) تشغل تفكيرها وتُحزن قلبها، ورغم إحساسها بألم (روان) إلا أنها لم تستطع سوى لومها على إبعاد (عادل) عنها الآن، فمن خير من أحدهما ليواسي الآخر؟

لأول مرة تمتن لعدم رؤيتها لـ(يوسف) اليوم كي لا تضطر لإخفاء رؤيتها لـ(عادل) عند (غادة)، كانت تعي حساسيته الشديدة تجاه (عادل)، ولا تريد لأي شيء أن يُوتر علاقتها به.

تكررت زيارتها لـ(غادة) الأيام التالية لتطمئن عليها، وكان لقاؤها بـ(عادل) قصيرًا مختصرًا دائمًا، إن لم يكن مختفيًا في غرفته ولا يظهر أصلاً، إلى أن فتح لها باب المنزل ذات يوم، فسألت بتوجس:

- هل خرجت (غادة)؟

بدا أكثر تماسكًا، حليق الوجه وحزن هادئ في عينيه، ابتسم لحيرتها وقال:

- إنها في غرفتها، كنت مارًا بجوار الباب عندما رنّ الجرس.

ابتسمت قليلاً وهي تتقدم للداخل، وتقول:

- هكذا إذن، أتمنى ألا تكون نائمة، إنها الحادية عشرة ظهرًا الآن.

- لا أظنها نائمة، لكنها تجلس وحدها كثيرًا الفترة الماضية.

عضت شفتها قليلاً، ثم سألته:

- تبدو على غير طبيعتها، أليس كذلك؟

نظر لها باهتمام وقال:

- لاحظت هذا بالفعل، لكنّ ما حدث مؤخرًا جعلني لا أُركز كثيرًا، وحتى (ماجد) يبدو مختلفًا، تحدّثي معها، إنها لا تُحب أحدًا كما تُحبك.

ردت (مريم) بتلقائية وحنان:

- إنها أختي.

واستطردت بتعاطف:

- هل (روان) بخير الآن؟

obeikandl.com

بدا ألم في عينيه وهو يقول:

- لا أدري، والداها يخبراني أنها بخير، لكنّ نفسيتها متعبة ولا تُريد التحدث مع أحد في أي شيء.

- اصبر عليها قليلاً يا (عادل)، إنها مجروحة ومتألمة كثيرًا، وأضعاف ما أنت عليه، لقد فقدت جزءًا منها حرفيًا، وهذا ليس هينًا على أي أم.

صمت لحظة قبل أن يقول بحزن كبير:

- كنت أتمنى لو تجعلنا نتشارك ألمنا معًا، لم أتوقع أبدًا أنها ستحرمني من هذا الحق.

صمتت لا تعرف ماذا تقول، لكنه تابع ببسمة باهتة:

- لا نعرف أبدًا من الذي سيبقى معنا يُخفف أحزاننا حتى نُجرّب بأنفسنا. ارتبكت وخفضت عينيها أمام نظرته، قبل أن تستأذنه وتذهب لغرفة صديقتها.

أدهشتها تصاريف القدر، لو لم يكن (يوسف) في حياتها الآن لسعدت بأي بادرة تُقرّبها من (عادل)، لم تُفكر سوى في أنه يظهر دومًا في الوقت المناسب من فصول حياتها ليحميها ويدرأ عنها الأخطاء.

التقته أخيرًا هذا المساء، كانت قلقة من بداية الأمسية بعدما قرر أن يحضر معها حفل توقيع كتابها الأخير، فكرت دومًا أنه يكره هذا الجزء من حياتها.. من شخصيتها، لكن وهو جالس أمامها في الصف الأول متأنقًا، مبهرًا في

حضوره، يمنحها ابتسامته، شعرت بالثقة والفخر والنشوة باجتماع عشقيها في مكانٍ واحد.

مرت مناقشة الرواية بسلاسة ما بين أسئلة الحضور وإجاباتها الموشاة بالرومانسية، حتى أتى سؤال سمعته قبلاً لكن ليس في حضور (يوسف) أمامها.
"هل شخصية (خالد) حقيقية؟ إنه مشابه تمامًا لبطلك الأخير في رواية (ظِلّ القمر)".

نظرت لوجه (يوسف) بطرف عينها ولم تجد تغيرًا في وجهه، وأجابت بصدق وهدوء:

- ليس المهم أن تكون الشخصية التي أكتبها حقيقية أم لا، المهم أن يكون إحساسي بها صادقًا، وأن تسكنني بحيث أستطيع التعبير عنها بشكل يجعل القارئ يُصدق أنها حقيقية.

سرت الهمهمات ما بين الاستحسان ومزيد من الاستفسار، قبل أن تسألها واحدة من قارآتها عن موعد صدور روايتها الجديدة، وتجعل (مريم) هذا السؤال هو الأخير، لتبدأ بعدها في توقيع نسخ روايتها للقراء، وتتمكن من الانفراد مع عشقها الأكبر بعيدًا عن الجميع.

اصطحبها بعد حفل التوقيع لمطعمها المفضل المطلّ على حدائق رائعة، لا يملان من السير فيها يدًا بيد، ارتدت الأحمر هذه الليلة، ليس لحفلها لكن لتنتزع نظرة الشغف التي تعشقها في عينيه، وهي ترميه بأعذب ابتساماتها،

تروي قلبها بتأمل وجهه الرصين الجذّاب، وتضع يدها في يده ليُطبق عليها بكف قوي رشيق.

كم تعشق ذلك التعبير البركاني الخامد في عينيه وهو يتأملها دون أن يقول شيئًا، فيستفز أنوثتها، ويملأ عينيها بآلاف الأفكار المغرية التي تبقى سرًا بين قلبيهما.

قال بعد أن جلسا في ركنهما المفضل:

- أفكر أحيانًا أنكِ جنّية تملك إكسير الجمال، لتزداد فتنة في كل مرة.

همست وهي تميل على الطاولة بينهما:

- ليتني كنت جنّية لأُلقي عليك سحرًا لا يبطل أبدًا.

- إن لم يكن ما يطل من ألق عينيكِ هو السحر ذاته.. فكيف يكون إذن؟

- أتعلم أنني طالما سميت علاقتنا بالشهد؟

- الشهد؟

- نعم، فكيف أصف ما بيننا بغير ذلك؟

التوت بسمة جانبية على فمه وهو يسأل:

- وماذا كنتِ تسمينها منذ خمس سنوات؟ ألم تكن شهدًا أيضًا يا (مريم)؟

قالت واعتذار دافئ في عينيها:

obeikandl.com

- حتى لو أخطأت يا (يوسف)، فمن لا يغفر للشهد خطاياه، والمهم أننا عدنا معًا، ألا تُحبني الآن؟

- كم مرة سألتِني؟

- وكم مرة لم تُجب!

- ربما لأنكِ لستِ بحاجة للسؤال.

تنهدت وهي تتراجع في مقعدها مع وصول النادل لأخذ طلباتهما، ثم سألته مجازِفة:

- هل أعجبك حفل التوقيع؟

ابتسم ابتسامة صغيرة وقال:

- أرى أنه مهم لكِ للتواصل مع جمهورك، كنتِ متألقة فيه.

- كنتُ سعيدة لأنك معي.

قالتها بصوت مفعم بالعاطفة، فرد عليها بنظرة حنان ملأتها حبًا وأمنًا.

تناولا طعامًا خفيفًا وحلوى كراميل لذيذة تشاركا أكلها في صحن واحد، وما إن خرجا للسير في الحديقة حتى رن هاتفها، أخرجته باهتمام كالعادة ووجدت اسم (غادة)، عضت شفتها لحظة حائرة، ثم أجابتها بنظرة اعتذار لـ(يوسف):

- أهلاً يا حبيبتي، كيف حالكِ؟

obeikandl.com

ردت (غادة) بصوت حاولت دفع الحيوية فيه:

- بخير الحمدلله، كنت أريد تنبيهك أنني لن أكون في المنزل غدًا كما اتفقنا، لأنني سأذهب مع (عادل) لنرى زوجته.

- حقًا؟ هذا شيء رائع.. لا عليكِ طبعًا، المهم أن تسير الأمور على ما يرام.

- إن شاء الله.. ادعِ لنا.

- أكيد.

وأعادت الهاتف لحقيبتها ببسمة متفائلة، سألها (يوسف):

- ماذا هناك؟

اضطربت تفكر بسرعة، ثم قررت إخباره بالحقيقة ومأساة (عادل) وزوجته، لم تتوقع أن يترك كل التفاصيل ليسألها بنظرة جامدة:

- إذن كنتِ تقابلين (عادل) الأيام الماضية ولا تخبرينني؟!

- لم أكن أقابله! كنت أذهب لـ(غادة) وأحيانًا لا أراه أبدًا.

- والأحيان الأخرى؟

- (يوسف)! ماذا بك؟ ماذا تتوقع أن يحدث وهو في مأساة كهذه؟ إنه مدمر تمامًا هو وزوجته.

هتف ساخرًا دون مرح:

obeikandi.com

- لابد أنكِ غمرتِه بتعاطفكِ وهونتِ عليه أحزانه إذن!

- (يوسف)!

- لا تقولي شيئًا.. فلنرحل من هنا.

قالت ملتاعة وهي تُمسك معصمه بيديها توقفه:

- أرجوك اهدأ واسمعني، كيف تظن أنني قد أفعل أي شيء يضايقك حتى لو لست معي؟ أهذا ما تظنه بي؟

قال بقسوة وهو يُبعد يديها عن يده:

- ظننت أيضًا أنكِ لن تنتقلي لرجل آخر بعد انفصالنا بهذه السرعة لكنكِ فعلتِ!

امتقع وجهها بصمت، وهمست:

- أنت لن تنسى أبدًا، أليس كذلك؟

رمقها بنظرة عنيفة مشتعلة وقال:

- ماذا لو أخبرتُك أنني عرفت نساء كُثر بعدك؟ وأنني لم أتوقف عند حد العناق، بل فعلت معهن كل ما حلمت أن أفعله معك! لكنكِ تركتِني قبل ستة أسابيع من زفافنا! هل يمكنكِ نسيان ذلك بسهولة يا (مريم)؟

ارتعشت.. صدمها كموجة لطمتها بقسوة وتركتها مرتجفة الأطراف.

obeikandi.com

- أنت.. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا.. أخبرني أنك.. أنك تكذب عليّ.

- ولماذا يُهمك إن كنت أكذب أم لا؟ ألا تستطيعين فقط النسيان؟!

هتفت وقلبها يحترق:

- لم يمسني أي من الذين ارتبطتُ بهم! لم أسمح بذلك! ما تقوله أنت مختلف! أنت...

قاطعها باقتضاب وهو لا ينظر إليها:

- دعينا نذهب الآن، هكذا أفضل لنا.

- (يوسف)!

همست برجاء وألم.. لكنه رفض تهدئة حرائق الغيرة المشتعلة في دمائها، خيّم الصمت لوهلة قبل أن يتحركا دون كلام وهو يعيدها إلى البيت بسيارته.

لم تستطع النوم ساعة واحدة طوال الليل، خاصة بعدما لم يردّ على اتصالاتها منذ أن أوصلها وتركها دون كلمة أو نظرة.

كانت متأكدة أنه يكذب عليها ليُذيقها فقط ما يشعر به، ألن يتجاوز قط خطباتها الثلاث؟ ألا يمكنه الوثوق فيها مجددًا؟ كيف تُفهمه.. كيف تشرح له نفسها وهو الذي كان يستوعبها دومًا دون عناء؟.

obeikandl.com

حاولت ألا يبدو توترها واضحًا لأمها في اليوم التالي، كانت قد أخبرتها بأمر (يوسف) وبشرتها بزواجهما قريبًا حتى لو لم يُحدد (يوسف) أي موعد بعد، كانت واثقة أنها خطوة قادمة لا محالة.

لكن ثقتها تزعزعت الأيام التالية وهو بالكاد يرد على اتصالاتها بصوت جاف متباعد وكلمات مقتضبة، ولا يلقاها أبدًا بعذر جاهز دائمًا.

قررت بعد أسبوعين أن تأخذ هي المبادرة وتذهب إليه في مكتبه، تُحاول التصالح مع كل شكوكه نحوها، استقبلها بتعبير هادئ لا يُفصح عن أفكاره كالمعتاد، وبدأت قائلة وهي تجلس على طرف المقعد أمام مكتبه:

- فلنتحدث بوضوح وصراحة يا (يوسف)، تريدني أن أعترف أنني كنتُ مخطئة في تركك، وفي ارتباطي بأكثر من خطبة فاشلة بعدك، أعرف وأعترف ولن أُنكر أنني أخطأت.. أنت تعرف كم أُحبك، لماذا لا ننسى كل ذلك إذن؟ لماذا تُلقيه في وجهي دومًا ولا تستطيع الغفران؟

صمت طويلاً وهو ينظر إليها، قبل أن يقول بصوت خفيض:

- لن ينجح هذا

- ما الذي لن ينجح؟

- نحن.. لا يمكننا الاستمرار معًا.

نزلت عليها كلماته كصاعقة جمدتها مكانها، جفت روحها.. واحترقت أنفاسها، فهمست بصوت كالرماد:

-كيف تقول ذلك؟ كيف أمكنك أن تقول ذلك؟

قال ببرود:

- لماذا يا (مريم)؟ أيؤلمكِ هذا؟ كم من رجل هجرتيه يا عزيزتي؟ أكثر مما غيرتِ رقم هاتفك في السنوات الخمس الماضية؟ لا.. لم تغيري رقمك، فهو أثمن عندك من قلوبٍ عديدة تركتِ سُمّك فيها.

- (يوسف)!

- لِم الدهشة؟ أليس هذا ما تُجيدين فعله أكثر من أي شيء آخر؟ وكما تقولين؛ لعلّ هذا هو الذنب الذي سيجعلني ملاكًا! ترى ما ذنبك أنتِ؟ أم لكِ قائمة طويلة لا تذكرينها؟

حدقت فيه بعينين مذهولتين وهو ينهض من وراء مكتبه ويسير في الحجرة قليلاً، قبل أن يتابع ناظرًا إليها وهي جامدة مكانها:

- "الحب حالة ذهنية.. الخيانة حالة ذهنية.. الإخلاص هو الجهد الحقيقي!" لطالما كان الإخلاص جهدًا لكِ، أليس كذلك؟ أتمنى أن أكون منحتك الألم الذي تحتاجينه لتُبدعي.. أتمنى أن أكون حفرته عميقًا في قلبكِ.. كما حفرتيه فيّ يومًا.

همست بصوت جريح:

- كنت تخدعني يا (يوسف)؟! كنت تُتابعني كل هذه السنوات.. تُراقبني، فقط لتنتقم مني؟

- أو لأُخرجكِ لدنيا الواقع، أتعلمين لماذا سأتركك؟ لأنكِ لست الفتاة التي عرفتها ولا المرأة التي تحبين أن تدّعي.. بتِ كأبطالكِ.. طيف يترنح بين الواقع والخيال، مجرد ظِلّ.. لا يصلح لرجل حقيقي.

أنا آسف، لكن "هكذا هي دروس الحياة، قاسية.. موجعة..غادرة"، مثلكِ تمامًا.

حدقت به عاجزة عن النطق.. عن التفكير.. عن الإحساس بشيء.. أمام وجه بارد لا مشاعر فيه، وكلماتها تثأر منها فجأة على لسانه..

نهضت واقفة تسير بخطوات ثقيلة، وغادرت مكتبه دون أن تقول شيئًا.. لا لوم أو غضب..

ابتعدت راحلة وكل شيء حولها يبدو كهوّة عميقة سوداء.

obeikandl.com

وصل مكتبه متجهم الملامح، غير مهتم برد التحية التي وصلته خافتة على استحياء، وأخذ يبحث بين أوراقه ولوحاته الهندسية بضيق، حتى ظهر مديره فجأة وهو يقول:

- من حسن حظك أنك سلمت العمل هذا الصباح، كانت فرصتك الأخيرة كما أنذرتك، ولا أريد لهذا التأخير أن يحدث مجددًا، إنها مشاريع بملايين وليست فوضى!

نظر له (شريف) يخفي حيرته بصعوبة وهو يهز رأسه متمتمًا ببضع كلمات موافقة حتى انصرف المدير، والتفت لزميلته متشوشًا:

- كيف.. أنتِ؟ من سلمه المشروع؟

قالت (سارة) بابتسامة صغيرة :

- أنا سلمته، أنهيته أمس بعد انصرافك دون أن تنهيه كالعادة، وسلمته هذا الصباح، لم يكن تهديد الباشمهندس زائفًا هذه المرة، خفت أن تفقد عملك.

شعر بمزيج من الراحة والغضب.. لم يرغب في أن يكون مدينًا لها!

قال باختصار وهو ينظر لأوراقه:

- شكرًا لكِ، لن يتكرر هذا.

وصله صوتها مترددًا وهي تقول :

- ماذا بك؟ أخبرني فقط ما الذي حدث لك الفترة الماضية؟ هل كل شيء على ما يرام؟

قال ببعض الحدة:

- أنا بخير، هلّا تركتِني الآن لأواصل عملي؟

انسحبت نظرتها المجروحة وأبعدت وجهها عنه تواصل عملها.

تبًا!

يكفي ما هو فيه، لا يريد أن يجرح (سارة) بعد كل دعمها له الأسابيع الماضية، لم تكن المرة الأولى التي تُنقذه فيها، لكن كم يجرحه هذا الإنقاذ!

فقط لو ترد (غادة) عليه!

ولو لتخبره أنها لن تتحدث معه مجددًا وتُعنفه على ما قال!

لكنها لم ترسل كلمة واحدة طوال هذا الوقت!

كان يعزيه قليلاً أنه يعلم بفتحها لرسائله، لكن أحيانًا يفكر إن كانت تُري هذه الرسائل لزوجها ليفاجأ به يومًا في عمله يتشاجر معه ويوسعه ضربًا، أو على الأقل يُرسل له رسالة سباب لاذع ومهين!

obeikandl.com

لكن مع طول انتظاره ولا شيء يحدث، تمنى لو يرى زوجها الرسائل بالفعل فيتشاجر معها لتُكلمه كي تلومه وتوبخه!

لكن لا شيء.. لا شيء سوى الصمت!

أمضى نهاره محاولاً التركيز بضيق، ومع نهاية اليوم الذي بدا شاقًا، قال فجأة لـ(سارة) بما يشبه الاعتذار:

- هل يمكننا أن نشرب شيئًا بسرعة في طريقنا ونتحدث قليلاً؟

أشرقت ملامح وجهها وقالت برقة:

- بالتأكيد.

غادرا معًا ودخلا مقهى قريب، جلسا بصمت دون أن يبدآ في الكلام، سألها فقط ماذا تشرب، وعاد لصمته حتى سألته هي:

- ما الذي حدث يا (شريف)؟

زفر قليلاً وقال دون اهتمام:

- لا شيء، مشاكل عائلية، كنت أريد الاعتذار لكِ فقط عن سوء طباعي رغم.. وقوفك معي.

ابتسمت وبدا حنان لطيف في عينيها أضفى جمالاً ناعمًا لوجهها، قبل أن تقول:

obeikandl.com

- إنها عِشرة سنتين يا (شريف)، كيف لا أكون بجانبك عندما تحتاج لصديق.. أو صديقة؟

واتسعت ابتسامتها، فابتسم قليلاً تلقائيًا..

بالتأكيد لا تشبه أمه في شيء، رغم رقتها فهي مجتهدة وذكية ويُعتمد عليها كما جرب بنفسه، دون أن تُشعره بالذنب أو تفضّلها عليه!

فلا يمكن أن يقابل امرأة أكثر أنانية من أمه!

- أتعرفين (لمياء)؟

رددت بدهشة:

- (لمياء)؟

قال محاولاً ألا يُبدي اهتمامًا كبيرًا:

- نعم، إحدى المسئوولين عن جروب التصوير، كانت معنا في رحلة المعادي التي أتيتِ فيها.

قالت بحذر:

- نعم أذكرها، لماذا؟

- (غادة).. التي عرّفتُك عليها هناك، فقدت كاميرتها ذلك اليوم وأنا وجدتُها، أريدك أن تأخذي رقمها من (لمياء).. لكن دون أن تُوضحي أنني الذي أطلبه.

obeikandl.com

وجدها تصمت طويلاً بنوع من الصدمة، فتسارعت أفكاره وازداد توتره، أضاف بسرعة مكملاً قصته:

- (غادة) لم تعد تدخل على صفحتها ولا تُوجد طريقة أخرى للتواصل معها، ولا أثق أن أعطي الكاميرا لأحد آخر، فأريد أن أكلمها وأشرح لها الأمر.

تنحنحت (سارة) قليلاً متمالكة صدمتها وقالت:

- حسنًا.. سأكلم (لمياء) وأرى إن كان معها رقم (غادة) أم لا.

أضاء وجهه بابتسامة كبيرة وهو يقول:

- ستفعلين؟ شكرًا.. شكرًا جدًا.

ابتسمت مجددًا، لكن لم تكن كابتسامتها السابقة.

obeikandl.com

ذلك العزيز المسكين.. "الكاذب"!

ألا يعلم أن كذبه يبدو واضحًا لها؟ كانت تعلم أنها معجبة به بينما هو لا يبادلها أدنى اهتمام.

لكن ما لم تتوقعه أن تكون مشاعره مع تلك المرأة المتزوجة، حتى لو كانت جميلة وشابة، فكيف يورط مشاعره المسكينة هكذا؟

ليتها ظلت معجبة به فقط ولم تقع في حبه الفترة الماضية وهي ترى ألمه ومعاناته وتميل مشاعرها إليه أكثر، ليتها تعرف لماذا يتصرف بغرابة أحيانًا.. وينظر لها بطريقة "غير مريحة" أحيانًا أخرى؟

تَذكُر زيارتها له مع زملائها في منزله عندما لزم الفراش مريضًا العام الماضي بسبب نزلة حادة في الشعب الهوائية، وجدت منزله لطيفًا وبه مظاهر ثراء تبدو في أناقته وسيارته، ورأت كذلك أمه.. كانت سيدة جميلة، تضحك وتثرثر كمراهقة مرتبكة، أرتها صورًا كثيرة لها، مُرتبة على طاولة أنيقة، صورها منذ عشرين سنة على الأقل.. لم تجد صورًا حديثة لها، ومع ذلك كانت والدة (شريف) تتحدث وتحكي لها عن مناسبات الصور كأنها أُخذت بالأمس، وتُلمّح كثيرًا بخجل عن المواقف المحرجة التي تعرضت لها بسبب جمالها الذي يجعل الجميع دومًا يظنونها "أصغر بكثير من عمرها".

وكانت جميلة فعلاً بالنسبة لامرأة في الخمسين، لكن ليس لدرجة ألا يصدق أحد أن لها ابنًا تجاوز مرحلة "الكي جي".

فهل يشعر العزيز المسكين (شريف) أنه طفل غير مرغوب فيه؟ ألهذا يهتم لهذا الحد بـ"امرأة متزوجة" حتى لو كانت في نفس عمره؟

صدمها كثيرًا أنه لم يدعُها لهذا اللقاء إلا كي تجلب له رقم تلك المرأة، لكن لا بأس.. إنها مجرد طريقة لتتواصل معه، ستُعطيه الرقم الذي يريد، لكن ليس الآن، فلن يكون هذا لقاءهما الأخير، ستتقرب إليه وستقف بجانبه في محنته حتى يرى حقيقة مشاعره.. ستُشعره كم هو محبب ومرغوب، ولا يستحق "الإهمال" من امرأة أخرى.

إنه مجرد طفل تعيس ضلّ طريقه.. وتعرف هي جيدًا كيف ستعتني به.

obeikandl.com

وقفت تتأمل زوجها بنظرة باردة يشوبها توتر خفيف، رش عطره الثقيل بسخاء ورمقها بنفاد صبر، كان في كامل تأنقه، ورغم أنها لم تشعر بانجذاب نحوه الآن إلا أنها تعرف أن نساء أخريات قد يشعرن بأكثر من هذا تجاهه، لاسيما في المكان الذي سيذهب إليه.

قال بسأم وهو يغادر الغرفة:

- توقفي عن النظر لي بهذه الطريقة، أنتِ التي رفضتِ القدوم معي لعيد ميلاد (نيفين)، فلا تقفي هكذا لأني لن أخاف منك!

هتفت عاجزة عن إخفاء انفعالها:

- ألا تخجل من نفسك؟ تعرف أن كل مشاكلنا بسبب هذه المرأة ومع ذلك تُصرّ على الذهاب لعيد ميلادها بل وتريدني أن آتي معك أيضًا!

نظر لها بابتسامة هازئة وقال:

- سبب كل مشاكلنا؟ والله؟ لماذا؟ هل (نيفين) التي تجبرك أن تمنعي نفسك عني؟

- أنا لا أمنع نفسي عنك!

- آه صحيح.. فقط تبقين كالتمثال.

نظرت وراءها وقالت بسخط:

- توقف عن هذا الكلام، أنسيت أن هناك طفلين يمكنهما سماعك؟!

تناول مفاتيحه وهاتفه واتجه للباب وهو يقول:

- لا تُزعجي نفسك! سأغادر المنزل كله!

صفق الباب خلفه فبقيت مكانها بوجه حزين، ثم ذهبت لطفليها وبقيت معهما حتى موعد النوم، قبل أن تخرج للصالة تدور في المنزل بلا هدف، حتى استقرت على طاولة السفرة أمام حاسوبها.. فتحت رسالة (شريف) الأخيرة وقرأتها مجددًا:

"أعرف أنه ليس من حقي أن أستمر في الكتابة لكِ... لكني لم أجد غيرك يفهمني أو أتفق معه لهذا الحد... أنا لا أريد إفساد حياتك... لا أحلم بذلك، بالعكس... أحترم إخلاصك لزوجك وأسرتك... ربما لو كانت أمي فعلت مثلك منذ خمسة وعشرين عامًا لما تعقدت حياتي لهذا الحد..."

أعادت قراءة قصة حب أمه لرجل آخر وهجرها لأبيه، كان يحمل لها كمّ احتقار غير عادي، محملاً إياها كل خطأ في حياته.

ضعفت لوهلة وفكرت في الرد على هذه الرسالة بالذات، أرادت أن تُواسيه وتتعاطف معه، أن تُوضح له أنه رغم الخطأ الذي ارتكبته أمه فربما عليه أن

يحاول مسامحتها قليلاً.. أن يفكر كيف كانت حياتها مع أبيه، ربما لم يكن والده الزوج المثالي كما يعتقد، وربما هو الذي دفعها لحب رجل غيره.

نهضت فجأة وأفكارها تُعذبها، لطالما اقتنعت أن لا شيء يبرر الخيانة.. فكيف تبررها الآن؟!

ذهبت لغرفتها وبقيت ساعات في فراشها قبل أن يغلبها النوم تفكر في (ماجد) وفيما يفعله الآن.

عندما استيقظت في الصباح التالي أدركت أنها نامت أكثر مما توقعت، ربما لأنه يوم الجمعة، لكنها حتى لم تشعر بعودة (ماجد) الذي لم تجده جوارها في الفراش، هل استيقظ قبلها؟

نهضت بتكاسل فاترة الهمة واتجهت لغرفة الطفلين لتتطمئن عليهما، لكنّ قدميها تجمدتا وهي ترى (ماجد) جالسًا على كرسيها المعتاد أمام حاسوبها.. هربت دماؤها.. هل تركت رسالة (شريف) مفتوحة؟

هل مسحت رسائله السابقة؟!

هل يقرأهم (ماجد) الآن؟ يا إلهي! ستتدمر حياتها! سيحتقرها ويكرهها للأبد! سيقتلها!

- (غادة)!

مادت بها الأرض وهو ينهض فجأة مناديًا اسمها والتجهم على وجهه، هتف بحدة ما إن رأها:

- أخيرًا استقيظتِ يا هانم!

قالت بشفتين جافتين:

- ماذا.. هناك؟

- ابنك صدّع لي رأسي منذ ساعة وهو يريد الألعاب على جهازك، ولا أعرف مكانها! قررت تركك نائمة كي لا تظلي تتذمرين وتتأففين طوال اليوم من البيت وطلبات البيت! حتى إنني حضّرت إفطارًا لـ(زيد) و(رزان) و.. (غادة)!

هتف باسمها ملتاعًا وهي تترنح مكانها بوجه أبيض كالشمع، أسرع يمسك بها ويسندها إليه وهو يعيدها لغرفتها ويسأل بفزع:

- ماذا بكِ؟ بماذا تشعرين؟ هل أحضر طبيبًا؟

استلقت على الفراش بمساعدته ولم تملك طاقة لتتحدث، امتلأ صدرها بالبكاء ووهن شديد يغمرها، كان يُبعد شعرها عن وجهها لينظر إليها بإمعان قلقًا عليها، فلم تستطع مواجهته.. دفنت وجهها في كتفه تنتحب بصمت رغمًا عنها.

قال بلهجة مفعمة بالشعور بالذنب:

- هل أنتِ بخير؟ ماذا أفعل لكِ؟

همست بصوت مختنق:

- أوصلني أنا والطفلين عند أمي، لا أشعر أنني بخير الآن.

ضمها بحنان ثم قال:

- كما تريدين، ارتاحي قليلاً أولاً.

لم يتركها إلا والنعاس يغلبها، وآخر ما فكرت به هو متى كانت آخر مرة احتضنها هكذا؟ والذي احتلّ وجدانها أكثر؛ شعورها لأول مرة أنها لا تستحق هذا الحنان.

***

كانت تعلم أنها ستُحطم صورتها الكاملة وتُهين كرامتها بالبوح، لكنّ الحمل أثقل كثيرًا من أن تُخفيه في قلبها للأبد.

صمتت مكتئبة بعد أن حكت كل شيء لـ(مريم) التي أتت لها في منزل أسرتها. حاولت (مريم) في البداية الاعتذار عن المجيء بحجج متعددة، لكنها أصرت ورفضت كل أعذار صديقتها، لتأتي أخيرًا باهتة الطلة، دون بريق في عينيها، سألتها (غادة) إن كانت أمها بخير؟ ولم تزد في الاستفسار عما بها لأن بالتأكيد ما لديها أكثر أهمية.

قالت (مريم) حائرة:

- لا أدري ماذا أقول لكِ يا (غادة).. لا أصدق أن كل هذا حدث معكِ.

أسرعت (غادة) تؤكد:

- لكن لم يحدث شيء يا (مريم)! لا شيء بيني وبينه! إنه حتى لا يعلم المعاناة التي أنا فيها بسبب انجذاب جزء صغير مني.. إليه، أنا لم أرسل له حرفًا منذ أن صارحني بمشاعره، ومع ذلك أشعر أنني مذنبة.. وخائنة! أحب زوجي.. أعرف ذلك.. لكن لا أشعر به!

- لكن كل ذلك بدأ بسبب أفعال (ماجد) التي تُضايقك، لماذا لا تتحدثين معه مجددًا لتصلا لنوع من التفاهم.. وتعودا مقربين مرة أخرى؟

- مللت من التحدث معه! إن لم نتشاجر، يعِدُني ويُسمعني بضع كلمات حب ثم يعود كما كان وكأنني لم أقل حرفًا أو وعدني هو بشيء! لا أشعر بهذا الحب الذي يدّعيه نحوي دائمًا! إنه لا يراعي مشاعري أو يهتم لكرامتي، فكيف يُحبني؟ ورغم كل هذا أشعر أنني الخائنة لمحادثات بريئة مع صديق! وهو لا يشعر بذرة ذنب نحوي بسبب كلام ومزاح بذيء مع نساء أخريات!

ردت (مريم) بهدوء ثقيل:

- ربما لأنه لا يحمل مشاعر نحوهن، وأنتِ تعلمين ذلك.

قالت (غادة) منفعلة ووجع قلبها يخنقها:

- وأنا لا أريد أن أشعر بشيء نحو رجل غيره! لكنه.. لكنه لا يساعدني في ذلك.. وما الحب غير اهتمامك ومراعاتك للطرف الآخر؟ لا أريد كلامًا معسولاً أو إخلاصًا أجوف.. الفعل فيه خيانة لكن دون مشاعر! أفكر أحيانًا أن الرجال لا يملكون مشاعر أصلاً! قلوبهم كلهم جوفاء بلا أحاسيس! مشاعرهم كلها

تكمن في رغبة واحدة فقط.. حتى بعد الانتهاء منها يفقدون اهتمامهم ومشاعرهم فجأة كأن شيئًا لم يحدث!

أتعلمين أنني حاولت أن أحبه بنفس الطريقة؟ أن أُحجّم مشاعري نحوه ولا أتمادى في خيالاتي الرومانسية، وأحبه فقط ليلاً؟! لكنني شعرت بفجوة تزداد في روحي.. فجوة باتت ملموسة بيننا.. حتى هو شعر بها! لماذا؟ لماذا لا يمكننا أن نكون أنانيات مثلهم؟ لماذا يجب أن نعطي دائمًا أكثر مما نأخذ؟ لماذا؟!

تنهدت (مريم) ثم قالت:

- المرأة لا تستطيع أن تحب بجسدها فقط يا (غادة)، احتياجها العاطفي أقوى وأهم عندها، وإن لم يدرك الزوج هذا تُصبح الزوجة تعيسة أو تبحث عن شخص آخر يملأ هذا الفراغ.

- أنا لم أبحث عن أحد يا (مريم)!

- أعرف يا حبيبتي، لم أقصد.. أنا...

- أنا تعبت! أشعر أنني مستنزفة! لماذا عليّ أن أُعطي وأُعطي لزوج لا يُقدّرني ولا يهتم إلا بما يريده؟ لماذا انقلب كل شيء هكذا فجأة كالكابوس عندما حاولتُ أن أكون مثله!

خيم الصمت على وجهيهما الحزينين، قبل أن تقول (مريم) بصوت خفيض:

- ربما لأن العلاقة بين الرجل والمرأة ليست توازنًا بقدر ما هي اكتمال.

- ونحن دومًا من يجب أن يجعل هذه العلاقة مكتملة وليس الرجل! المرأة دائمًا التي يجب أن تتحمل!

- من لديه قدرة أكبر على العطاء هو من يسعى لاكتمال العلاقة، غالبًا المرأة نعم هي التي تتحمل.. إلا في حالات نادرة.

وقفت (غادة) تسير في الغرفة بتوتر بالغ وهي تقول:

- عندما حدث لـ(عادل) ما حدث شعرتُ أنه ذنبي! أو على الأقل نذير لي كي أشعر أن لدي نعمة يجب أن أحافظ عليها، أعرف هذا.. أعرف كل شيء قد يحسدني الآخرون عليه، لكن كل ما يملأني هو فراغ كبير لا يُبقي لي ذرة سعادة وهناء واحدة! لا أستطيع الاستمرار هكذا.. أفكر في إخبار (ماجد) كل شيء ليعلم ما الذي أوصلنا إليه!

هبّت (مريم) واقفة والجد على ووجهها، تقول:

- إياكِ! إياكِ يا (غادة)! الرجال لا ينسون أبدًا.. ولا يغفرون!

- ماذا أفعل إذن؟ أنا أتعذب! كلما يقترب مني الآن أكاد أنفجر في البكاء، وأشعر فجأة أن كل ما فعله مجرد تفاهات يمكنني مسامحته عليها! وأتمنى فقط أن أعود أنا نحوه كما كنت.

- ربما كان يجب أن ننال نصيبًا من الإثم لنسامح.

رمقتها (غادة) بعينين متعبتين، ثم سألتها:

- ماذا بكِ يا (مريم)؟ تبدين مختلفة.

أغمضت (مريم) عينيها قليلاً ثم همست بألم:

- (يوسف) تركني!

- ماذا قلتِ؟! كيف؟!

- هكذا ببساطة.. تركني.. لم يعد لي إلا ليتركني بدونه.

تأملتها (غادة) بتعاطف واستغربت تأثرها البادي لهذا الحد، فليست المرة الأول التي تُنهي فيها خطبة أو علاقة.

- ستتجاوزين الأمر يا (مريم)، كما تجاوزتِه من قبل.

أطلقت (مريم) ضحكة مهتزة دامعة ثم قالت:

- بالتأكيد! فأنا معتادة على الهجر!

اقتربت منها (غادة) يلمسها ألم صديقتها العميق، وقالت:

- بل لأنكِ قوية يا (مريم)، طالما كنتِ كذلك.

همست (مريم) والدموع تُغرق عينيها:

- لا أشعر أنني قوية الآن يا (غادة).. لستُ قوية أبدًا.

وانهارت في البكاء بين ذراعيّ صديقتها، تواسي إحداهما الأخرى.

obeikandl.com

بدا جو المكان خانقًا أكثر من أي مرة، رغم أنه اعتاد السهر هنا الشهور الأخيرة، في هذا المكان الذي هو مقهى مع بار مع صالة ديسكو، لم يهتم بالتفاصيل، فأصدقاؤه هم من اختاروا المكان وبات ملجأهم الدائم، وملاذه مؤخرًا هاربًا من شحنة النكد التي تحولت لكآبة صامتة احتلت بيته، بعد أن قضت (غادة) والأولاد الأيام الماضية عند حماته.

عاد (أنور) يُلح عليه من جديد:

- يا بني اشرب شيئًا يفيدك في "مود" الكآبة هذا!

- لو لم تتوقف عن الإلحاح سأمشي من هنا، أنت تعرف أنني لا أشرب، ويكفي تحملي لشربكم وقلة عقلكم بعدها.

- أنت حر!

تركه (أنور)، ليجد (نيفين) تتجه نحوه عائدة من حلبة الرقص، هل هي فعلاً سبب مشاكله مع (غادة)؟!

هل (غادة) مجنونة؟

فهو يعرف (نيفين) منذ سنوات عديدة، امرأة مطلقة متحررة من مجتمع مختلف عنه تمامًا، يعرف أن كل مزاحها وكلامها لا يعني شيئًا لها أو له، مجرد تسلية تُهوّن عليهم جو العمل والصراعات، لماذا لا تفهم زوجته هذا؟!

جلست جواره بثوبها الأحمر المائل للبرتقالي بدرجة لون فسفورية، فهي تُحب الألوان "الفاقعة" دائمًا رغم أنها تُبرز سمارها أكثر.

- أمازلت متضايقًا؟ لماذا لا تُخبرني ما الأمر؟ may be I can help.

أطلق ضحكة قصيرة، وقال:

- نو يو كانت يا (فوفا)! سأرحل بعد قليل على أي حال.

- as usaal, you Tell me nothing!

- صدقيني ليس هناك ما يقال.

بدا التردد في عينيها قبل أن تقول وهي تُمرر أصابعها بخفة على كُم قميصه:

- ok، سأغادر أيضًا، ونكمل كلامنا في منزلي.

- منزلك؟!

- why not?

- هل زدتِ في الشراب يا (فوفا)؟

بدت نظرة حانقة في عينها وقالت:

obeikandl.com

- دائمًا يكون هذا ردك!

نظر لها مستغربًا وقال:

- ألا تمزحين؟!

- no! لا أعرف لماذا تتمسك بامرأة تجعلك مكتئبًا! إنها مغرورة جدًا!

قال (ماجد) عابسًا:

- هل تتحدثين عن زوجتي يا (نيفين)؟!

عقدت ذراعيها أمام صدرها بعصبية ولم ترد، وقف (ماجد) متجهم الملامح، وقال باقتضاب:

- أنا ذاهب! سلام!

- (ماجد)!

نادته بمزيج من الرجاء والحدة، لكنه ابتعد يغادر المكان كله دون أن يلتفت إليها.

استنشق بعمق هواء الليل الهادئ بالخارج، وجال بسيارته دون هدف في الشوارع منشغل البال.

لم يُصدق أن (نيفين) تعني ما بدا من كلامها، لطالما تجاهل كل ما تقوله له بعد أن تشرب أول زجاجتين بيرة، كانت تُوزّع عادة جملة love you اعلى

obeikandl.com

الجميع بعدها، وكان يضحك منها، أما الليلة فلم يشعر برغبة في الضحك، شعر بالضيق والاختناق منها ومن كل شيء.

لم يكن جو السهر والشلة من عاداته يومًا حتى وهو شاب عازب، كان مجتهدًا دومًا يفكر في عمله ومستقبله، يأخذ دورات تعليمية في مجاله واحدة بعد الأخرى حتى وصل للمركز الذي هو فيه الآن، ولم يكن هذا سهلاً، فهو من أسرة متوسطة بسيطة لم يدرس في مدراس أو جامعات أجنبية، وكان تحديًا كبيرًا أن يتفوق على خريجي هذه الجامعات.

تسليته الوحيدة كانت في سرب الفتيات المفتونات به منذ أن كان صبيًا، لكنها تسلية بريئة حتى وهو في الجامعة، لم يدّع حب إحداهن أو وعد وأخلف، صداقات ولقاءات مرحة، قاطعها كليًا عندما تعرف على (غادة).

فحينما رآها صعقه جمالها من اللحظة الأولى، وشعر أن كل ما بذله في حياته كان فقط كي يكون لائقًا بها، صحيح لم تكن أسرتها فاحشة الثراء، لكنها أسرة ثرية مرموقة، فنشأت مرفهة، مدللة لا تعرف معنى الاحتياج.

ومع ذلك فاجأته بنضجها وتحملها المسئولية بعد الزواج، فتعلق بها قلبه أكثر مع مزيج من الإعجاب والتقدير..

كانت رائعة في كل شيء، جميلة في كل التفاصيل، شكلاً ومضمونًا، ودودة مع أهله، تتجنب إثارة غضبه وغيرته، وتستجيب لاختياراته في ملابسها كي تُرضيه، خاصة في حجابها "المائع" الذي كانت تضعه قبل الزواج وجعلته أكثر حشمة والتزامًا دون اعتراض، وحتى برودها الذي يكرهه أحيانًا كان يعرف أنه التعامل الأمثل مع عصبيته التي تُفلت منه.

لم يعد يومًا إلى المنزل إلا وكانت جميلة المظهر عطرة الرائحة، مفعمة بالأنوثة..

ربما مغرورة قليلاً.. لكن حتى عندما يُخبرها بهذا مازحًا، تسأله بتحدٍ ناعم ومغرٍ أن يُعدد عيوبها إن وجد واحدًا، فلا يجد ردًا، كان تكبّرها مغريًا وجميلاً مثلها.. فقط لو كانت أكثر تسامحًا معه!

"لن أسامحك يا (ماجد)!"

أكثر جملة يسمعها منها في شجاراتهما، لم يكن يعلو صوتها أو تصرخ فيه، وكم يكره المرأة العصبية ذات الصوت العالي، لكن تبقى تلك الجملة تحز في قلبه كلما قالتها بلسانها أو بنظرات عينيها، لماذا لا يمكنها أن تفهم أبدًا أن كل ذلك المزاح لا يعني له شيئًا وأن غيره من الرجال يفعلون أكثر من ذلك بكثير؟

كان من الصعب عليه أن يُحدّثها عن تفاصيل عمله، أو مشاكله وضياع هذا العميل منه أو تفوق زميل عليه ولو بطرق ملتوية، لم يشأ أن تهتز صورته القوية أمامها.. وكان يعرف أن أكثر ما جذبها إليه هو تأكدها بأنه سيفعل المستحيل لأجلها.

لم يكن يدرك هو نفسه أنه يمكنه فعل أي شيء لأجلها، لكن في فترة خطبتهما كان يجد التحديات أمامه فيقبلها دون تفكير وهدفه الوحيد إسعادها، بداية من إهدائها قطعة مجوهرات ثمينة رأى الإعجاب بها في عينيها مرة وهما يخرجان معًا، أو حجز قاعة الأفراح في التاريخ الذي اختارته وصممت عليه، متحديًا كل قواعد الحجز بوسائط عدة.

ما الذي حدث فجأة إذن في العام الأخير وغيّر كل ذلك؟

لا يريد العيش هكذا معها، فلم يحب أحدًا كما يحبها، وكم شعر أنه محظوظ عندما مالت مشاعرها إليه ووافقت على الارتباط به!

ومازال يشعر حتى الآن أن معه أغلى وأجمل جوهرة في الدنيا، ومهما رأى من نساء من مختلف الطبقات الاجتماعية تظل هي الأجمل والأنقى، فكيف يعودان كما كانا؟

اتصل بها بعد ربع ساعة وهو يقترب من شارعهم:

- هل يمكنني الصعود الآن؟

سألها مباشرة، وردت بدهشة كما توقع:

- الآن؟ نعم بالطبع في أي وقت، لكن لماذا؟ هل أنت بخير؟

- نعم بخير، سأخبرك عندما أراكِ، سلام.

كانت الساعة تتجاوز الواحدة صباحًا، ويعرف أن هذا وقت متأخر جدًا بالنسة لأسرة (غادة)، فتحت له الباب وكانت الوحيدة المستيقظة، ابتسم تلقائيًا لرؤياها رغم الإنهاك البادي علي وجهها الجميل، ورائحة منعشة خفيفة تفوح منها، ربما بسبب الشاي الأخضر بالياسمين الذي تشربه دومًا، أو من عطر شعرها اللامع.

ابتسمت بشيء من التردد أمام ابتسامته، وسألته:

obeikandl.com

- ماذا هناك؟

قال وحنان في عينيه:

- ألا يمكنكم العودة غدًا الجمعة؟ لن أجعلكِ تفعلين شيئًا، لكني لا أطيق المنزل دونكم، إنه أسوأ أسبوع مرّ بي!

توترت، شعر أنها لا تريد العودة سواء كانت متعبة أم لا.. سأل حزينًا أمام صمتها:

- ماذا حدث لنا يا (غادة)؟

لمح لمعان الدمع في عينيها قبل أن تشيحهما عنه، لم تقل شيئًا وإن بدا أنها تحاول إيجاد كلام، لكنه قال فجأة:

- يجب أن نغيّر الجو.. أنا وأنتِ فقط، سآخذ أجازة بأي شكل ونسافر معًا إلى "شرم"، ونترك (زيد) و(رزان) هنا.

تنهدت ثم أومأت برأسها دون حماس، شعر بوجع في قلبه.. كيف باتت بعيدة عنه هكذا وكل مشاعره تتجاوب مع وجودها أمامه؟

قال في النهاية، لا يتلقى منها إلا الصمت:

- سأتركك تُكملين نومك، وسنرتب تفاصيل السفر لاحقًا.

اتجه للباب وسارت معه، قبل أن تقول فجأة بصوت متردد متوتر:

- (ماجد).. أتود أن تبقى.. معي؟

التفت لها ناظرًا لوجهها النقي وعينيها الذهبيتين.. تمنى أن يبقى في حضنها بقية الليل، ولو ليشم رائحتها فقط، لكن ليس لأنها تشعر نحوه بالواجب.

- الوقت متأخر، تصبحين على خير.

رد باختصار وفتح الباب مغادرًا، يخشى إن بقي أن يضعف ويحتضنها، ليشعر من جديد بزوال حبها له.

obeikandl.com

كانت تعرف ما الذي سيحدث في هذه العطلة، فلم تكن المرة الأولى، سيختار (ماجد) الفندق الأجمل في شرم الشيخ، ويحجز الشاليه الأروع الأقرب للشاطئ، ولن يغادراه تقريبًا، ثم يعود منتعشًا لعمله وحياته مرتاح الضمير بعد أن أخذها لتغير الجو!

تحققت توقعاتها بخصوص الفندق والشاليه، ومضى نهارهما الأول بسلاسة، اندهشت قليلاً لأنه أخذ يتجول معها في المكان ليفرجها عليه، لم يتحدثا كثيرًا، وكان يحيط كتفيها بذراعه بمودة طوال الوقت، استرخت أعصابها وهما بعيدان عن الشاليه، لا تفكر بقلق ماذا سيحدث عندما يأخذها بين ذراعيه متوقعًا شوقًا مماثلاً لما تعرف أنه يشعر به، وهل سيتشاجر معها كعادته مؤخرًا وهو لا يشعر بالتجاوب الذي ينتظره؟

تأخر قلقها حتى عادا للشاليه بعد العشاء المميز في مطعم الفندق، وفي كل دقيقة كانت تتوقع اقترابه منها، وهو الأمر الذي – لدهشتها- لم يحدث حتى عندما استلقى جوارها في الفراش نصف جالس، غامرت بالنظر إليه، فابتسم لها قليلاً ثم قال:

- اشتقتُ لوجودكِ قربي هكذا.

ابتسمت بتردد تحاول أن تبادله جملة مماثلة، لكنها لم تُجد الكذب يومًا، وقبل أن تستغرق في رثاء مشاعرها الجامدة، جذبها في حضنه يمسح شعرها

بحنان كأنه يُربت عليه، بقيت متحفزة، متوترة، تنتظر الحركة التالية، لكن طال انتظارها حتى استرخى ذهنها وجسدها تدريجيًا، وغلبها النعاس شاعرة بدفء مريح.

في الصباح التالي كانت تعلم أن عليها تعويضه على سبيل المكافأة لحنانه ليلة أمس، لكن فاجأها حماسه لتناول الإفطار في المطعم - وهو الأمر الذي لم يفضله يومًا - ثم تمضيه بقية النهار على الشاطئ.

تفاعلت معه محاولة ألا تُبدي استغرابها، وعندما جلسا على مقعدين أمام البحر الفيروزي اللون، اختلست النظر إليه مجددًا لا تفهمه، كان ينظر صامتًا للشاطئ ولم يلتف إليها حتى لو شعر بنظراتها.

ألم يعد يحبها؟ هل يخونها؟ ألهذا لم يعد ينتهز أي فرصة سانحة للاقتراب منها؟ لماذا أحضرها هنا إذن إن لم يكن ليُعوّض فترة غيابها عن المنزل وعنه؟!

خشيت أن تتحدث، أن تسأله، كانت فعليًا تشعر بالراحة لأنها لا تضطر لافتعال مشاعر لا تشعر بها، لكنها تعلم أيضًا أن عدم رغبته في الاقتراب منها لا تعني إلا شيئين، إما إنه لم يعد يريدها فعلاً، أو إنه يخونها!

عندما عادا للشاليه هذا المساء بلغ توترها مداه، لم تعرف ماذا تُريد أكثر، أن يدعها وشأنها فتتأكد ظنونها نحوه، أم يقترب منها ويأخذها بين ذراعيه فتطمئن أن كل شيء كما هو!

- هل كل شيء على ما يرام يا (ماجد)؟ أعني.. هل يعجبك الفندق؟

انطلقت كلماتها قبل أن تستطيع السيطرة عليها، خاصة بعد أن استلقى على مقعد بجوار الشرفة دون أن يُبدّل ملابسه، ودون اهتمام كبير بالنظر إليها وهي تجلس على الفراش بقميص نوم ناعم. احتلتها بوحشية فكرة خيانته لها، وانفجر غضبًا هائلاً بداخلها جعل كل أعصابها ترتجف.

- المهم أن يعجبكِ أنتِ.

استفزها رده مع ابتسامته الحانية، منذ متى هذه الرومانسية؟!

أيعتبرها كأخته الآن؟!

كبحت انفعالها بصعوبة، وخرج صوتها حادًا وهي تقول:

- ماذا بك يا (ماجد)؟

نظر لها بدهشة بدت حقيقية، وهو يسأل:

- ماذا تعنين؟

شعرت لثانية أنها غبية.. حائرة.. لا تفهم شيئًا!

تقطع صوتها وهي تُحاول التكلم قائلة:

- أشعر.. أنك.. مختلف معي!

- أريدكِ سعيدة يا (غادة)، وأعلم أن هذا لم يعد يحدث عندما.. نكون معًا.

تلقت كلماته بنبرته الحزينة الساخرة، كطلقات صغيرة جمدت أفكارها..

obeikandl.com

قال أمام صمتها المعتاد:

- أخبريني ماذا أفعل لنعود كما كنا، هل كل ذلك بسبب مزاجي مع هذه أو تلك؟ حسنًا.. سأوقف كل ذلك نهائيًا، لكني لا أصدق أن هذا فقط هو الذي جعلك مختلفة معي هكذا، لا أفهم ما الخطأ الذي حدث؟ لا يمكن أن تُكبّري موضوع (نيفين) لهذا الحد، لا يستحق!

- هذا بالنسبة لك!

ردت فجأة وغضبها يصب في اتجاه آخر، نهضت تغادر الفراش بتوتر، وشيء ينفجر داخلها:

- أنت.. أنت دومًا تتعامل معي بلا مبالاة! كأن رأيي لا قيمة له! رغباتي وحزني وغضبي لا وزن لهم عندك! أنت وحدك الذي يحدد إن كان الأمر يستحق أم لا! لا أشعر بحبك الذي تدّعيه نحوي طوال الوقت، أشعر به متى؟ وأنت تتشاجر معي كل صباح حتى لو أسمعتني أجمل الكلمات في الليل؟ أم وأنت تتهمني كل مرة أجدك فيها تضحك وتتحدث مع امرأة أخرى أنني نكدية وأضخم الموضوع؟! لا تبالي ذرة! ذرة واحدة بمشاعري أو بما أريد! وأنا أفعل كل ما تريد من يوم خُطبتك لي! غيرت ملابسي وعلاقاتي وصداقاتي لأجلك، لا ترتدي هذا؛ "حاضر"، لا تكلمي فلان؛ "حاضر"، لا تذهبي هنا أو هناك؛ "حاضر"! كل شيء تريده أنفذه لك، ماذا فعلت أنت لأشعر أنك تُحبني طوال هذه السنوات؟ آه، أعرف ردك الجاهز، توفر لي عيشة مرفهة ولا تحرمني من شيء، أليس كذلك؟ وبالطبع علاقتنا الخاصة الشيء الوحيد الذي تهتم به بوضوح! لكن خارج غرفة النوم، بل حتى خارج الفراش كأنك شخص آخر!

أهذا هو كل الحب بالنسبة لك؟! كيف لا تريدني إذن أن أتغير نحوك وأن أظل أحبك كما كنت؟! كيف؟!

تباينت ملامحه ما بين الصدمة والاستنكار، نظر إليها كأنه لا يدري من أين يبدأ شجاره معها، حتى قال أخيرًا:

- ألا ترين أن هذه.. تفاهات؟! أهذا كل ما يضايقك؟

لا يشعر بها كالعادة! لا يهتم لكلمة قالتها!

هتفت:

- ليست تفاهات بالنسبة لي! ماذا لو كنت أنا الذي أتحدث وأضحك وأخرج مع رجل آخر "زميل" في العمل؟ ماذا لو كنت أرتدي ما يحلو لي وأفعل ما أريد دون الاهتمام برغباتك؟!

هبّ واقفًا ووجهه يحتقن انفعالاً:

- (غادة)! تعلمين أنه لا مزاح عندي في هذه الأمور!

- بالضبط! فـ"عندك" أهم من "عندي"، و"عندك" له كل الأولوية والاهتمام، و"عندي" لا قيمة له! لذا قررت أنا أيضًا أن يكون كل شيء عندك لا قيمة له عندي!

سأل بقلق ووعيد:

- ماذا تقصدين؟!

obeikandl.com

تنفست بحدة وكبحت كثيرًا من الكلمات التي لا يمكن استردادها فيما بعد، قالت بنظرة باردة متحدية تتعمد إيلامه:

- قررت أن أعطيك بقدر ما تعطيني، أن أريحك وأريح نفسي من مشاعر لا تلقى أهمية لديك، قررت ألا أحبك يا (ماجد).

ران الصمت وهو يحدق بها غير مصدق، ظنت للحظة أنه سينفجر فيها غضبًا، لكنه عاد يعقد حاجبيه متوترًا، قبل أن يقول بصوت غريب:

- ونجحتِ؟! نجحتِ.. أليس كذلك؟ هذا يفسر كل شيء! كل الفترة الماضية وتغيرك معي، في ثانية نسفتِ كل ما بيننا لأنني لم أنفذ أوامرك! هكذا بسهولة أصبحتِ.. لا تحبينني!

- أنت الذي...

- أنا لن أقدر يومًا أن أخبرك أنني لا أُحبكِ!

وفي ثوانٍ كان يخرج من الشاليه كعاصفة صامتة، بقيت جامدة.. مصدومة، بحيث لم تتمكن حتى من مناداته، وكل شيء ينقلب في وجهها دون توقع وهي ترى نظرة ألم تُمزق عينيه.

***

أخذت تُقنع نفسها في ساعات الليل المتبقية أنها لم تُخطئ في شيء، وأنه كان يجب أن يعرف ما أوصلهما إليه، كان يجب أن يتواجها منذ فترة، ومن الجيد أنها فعلت هذا الآن.

ومع تسلل أولى أشعة الشمس لم تستطع كبح ذعرها من فكرة أنه رحل وتركها، فأين سيذهب طوال هذا الوقت؟ ولماذا لم يعد حتى ليجمعا أشياءهما ويرحلا لتنتهي هذه العطلة البائسة؟!

اتصلت بهاتفه ووجدته مغلقًا، وبدأ شعورها بالضياع يزداد، لا يمكن أن يسافر ويتركها هنا هكذا دون أن يخبرها!

ارتدت ملابسها وخرجت تبحث عنه، لم تكن الساعة تجاوزت السادسة صباحًا، وكل شيء مغلق، حتى الشاطئ كان خاليًا، أخذت تمشي وتبحث في المناطق المحيطة دون جدوى، فعادت أدراجها بعد ساعتين منهكة القوى والمشاعر.. وقفت أمام البحر تُفكر فيما آلت إليه حياتها..

لا يمكن أن يتركها (ماجد)، لكن كرامته لن تسمح له بالاستمرار معها وهي لا تحبه..

لكنها لم تكن تقصد أنها لا تحبه فعلاً!

لقد أرادته فقط أن يشعر بخطأه! ألا يستهين بمشاعرها وبكل ما عانته الفترة الماضية، بدا انجذابها النسبي لـ(شريف) الآن أمرًا تافهًا كغيمة مرت وانقضت دون أن تدري.. وحده الألم في عين (ماجد) هو الذي يُثقل قلبها.

فرغم كل شيء تعرف أنه يحبها، فكرت في اليومين الماضيين وراجعت كلامه وتصرفاته، لقد كان يحاول التواصل معها وإسعادها حتى لو لم يقتنع أنه مخطئ، كان يفكر فقط بها بعدما شعر بتغير مشاعرها نحوه.. لماذا لم تعي هذا قبل الآن؟ لماذا انجرفت وراء رغبتها في جرحه وإيلامه فحسب!

أين هو الآن؟

دخلت الشاليه لا تدري من أين تبدأ لترحل وحدها، وما إن تقدمت بضع خطوات حتى انقشع كل غمّها فجأة وهي ترى (ماجد) يُجهز حقيبته.

- (ماجد)!

نظر لها في البداية دون تعبير، لكن حينما رأى عينيها الدامعتين ووجهها المحتقن، سأل عابسًا بقلق:

- أين كنتِ؟ وماذا بكِ؟ هل ضايقكِ أحد؟

تقدمت نحوه أكثر وقالت ودموعها تنهمر فجأة:

- ظننتك.. تركتني.

أبعد عينيه عنها، فتابعت تتكلم من قلبها:

- لم أعنِ ما قلت، أنا لا يمكن ألا أحبك، لكنني فقط تعبت.. أُنهكت من أمور كثيرة تُبعدنا وتظنها أنت دومًا غير مهمة، وهي مهمة بالنسبة لي لأشعر أنك تهتم بي وتُحبني، وعدتني كثيرًا من قبل ولم تفِ بوعودك، فلم أعد أدري كيف أُصدق أنك مازلت تُحبني، حاولت أن أُحبك كما تفعل ولا أهتم سوى بعلاقتنا الخاصة فابتعدنا أكثر، وتبلدت مشاعرنا، هناك أشياء كثيرة في علاقتنا وحياتنا مهمة جدًا لي حتى لو لم ترَ أنت ذلك، أنا تعبت فقط يا (ماجد).. تعبت لكنني أُحبك.. والله أُحبك!

التفت لها وحزن دموعها في عينيه، وهو يقول:

- أنتِ أهم شخص في حياتي يا (غادة)، لكني لا أعرف كيف أقنعك بذلك، أعرف أنني أفعل أشياء تضايقك لكنني أظن أنكِ تدركين في النهاية أنها أمور لا

obeikandl.com

تعني شيئًا لي، وظننت أن هذا يكفي، ثم ما هذا الإصرار على أنني لا أهتم سوى بعلاقتنا الجسدية؟! نعم هي مهمة جدً بالنسبة لنا وليس لي وحدي، لكنها ليست كل شيء في زواجنا، أحبك وأريدك روحًا وجسدًا معًا، لماذا برأيك أصررت أن نأتي هنا رغم شعوري بعدم رغبتك في أن تكوني معي؟ ولماذا عذبت نفسي اليومين الماضين كي لا ألمسك وأنتِ تعين جيدًا مدى شوقي لكِ؟ كل هذا لأنني بتُّ أشعر بخواء غريب وأنتِ بين ذارعيّ وكأنكِ لستِ معي، في البداية لم أنتبه للتغير، لكن مع الوقت شعرتُ أنكِ بعيدة عني، وأن هناك خطأً بيننا لكن لا أدري ما هو.

- الخطأ هو ما أقوله لك الآن، ولم تقتنع به يومًا.

ران صمت متبادل بنظرات متعبة، ومشاعر تحاول اختراق جدار خفي بينهما، إلى أن قال وعاطفته تتجلى في نبراته:

- لن أكذب عليكِ وأقول إن كل شيء سيتغير كما تُريدين بالضبط، لكنني سأحاول.. سأفعل أي شيء كي لا تخبريني مجددًا أنكِ لا تحبينني.

انفرجت أساريها بأمل وراحة، وهمست :

- أنا آسفة.

قالتها تعتذر لألمه، فاحضنتها يضمها بحرارة وهو يقول:

- وأنا أيضًا آسف.. على كل شيء جعلك لا تشعرين بحبي لكِ.

دفنت وجهها في صدره، وبقيت طويلاً في حضنه تستعيد سكينتها المفقودة.

قامت تتحامل على نفسها حتى جلست في مكانها المفضل في الشرفة، تنهدت تنهدة كبيرة تستنشق رائحة النسيم الباكر، لابد أن (مريم) الغالية مازالت نائمة، فيجب أن تعود للداخل قبل أن تستيقظ وتقلق عليها من النسائم الباردة.

ليتها فقط تعلم ماذا حدث لحبيبتها وبنت قلبها الفترة الأخيرة، ولماذا هذا الحزن الدائم في عينيها، هل تشاجرت مع (يوسف)؟ لا تريد أن تخبرها الحقيقة، تقول دائمًا إنهما بخير، لكن قلب الأم يعرفها ويعرف أنها تتألم.. ولم تتألم هكذا إلا مع (يوسف).. لأنها لم تُحب رجلاً كما أحبته.

كم تُشبهها تلك الطفلة الغالية، تُشبهها في حب لا يترك فيها إلا ألمًا، وكم تتمنى لو تختلف عنها في النهاية..

فحتى الآن كلما أغمضت عينيها ترى وجه حبيبها وزوجها (يسري)، رحمة الله عليه، سنوات عمرها كله تُفكر هل أخطأت أم لا؟

كانت شابة وجميلة والكثير يتمناها، لكنّ قلبها لم يختر غيره، هو الرجل الذي يكبرها بسبعة عشر عامًا، ومتزوج ولديه أربعة أطفال، اندفعت في مشاعرها نحوه ولم تُفكر في شيء آخر، وكيف يمكن للمرأة أن تُقاوم حبها؟ وكيف لا تسلك ألف طريق وسبيل حتى يشعر بها هذا الرجل ويبادلها حبًا بحب أشد منه؟

ولماذا شرع الله التعدد إن لم يكن من حقها حبّ رجل متزوج وهي فتاة عزباء؟ ما الخطأ هنا؟ ولِم اعتبرها الجميع هادمة البيوت سارقة الأزواج؟! لم يفعلا شيئًا يخالف الشرع وتزوجا على سنّة الله ورسوله وليس عرفيًا، فأين الخطأ؟!

أكان خطأ (يسري) لأنه لم يُحبها كما تُحبه؟ أم خطأها لأنها تسرعت في الحكم على مشاعره وحثته على إتمام زواجهما في أقرب وقت؟

لم تمضِ إلا شهور معدودة حتى شعرت بندمه على زواجه منها، لم تتحمل ألم فكرة أن حبه لها كان مجرد نزوة عابرة، وأنه سئمها بعد أن امتلكها، لكن إهماله لها الشهور التالية حتى بعد أن عرف بحملها أكد لها كل طعنة ألم، لم تُصدق أنه يتحدث معها عن شعوره بالذنب نحو زوجته الأولى وتقصيره في حق أطفاله كل مرة يزورها! وكأنه كان يريد دفعها للشعور بالذنب هي الأخرى!

لكن هل الحب ذنب؟ فإن شعر يومًا أنه ذنب فليس ما أحسه نحوها بحب إذن، وأدركت أنه لا يحبها، أدركت ذلك بعد أن طالبته بالمساواة بينها وبين زوجته الأولى، ولم تفعل ذلك إلا بعد كثير من المعاناة والهجر، موجود في حياتها وغير موجود، تُمضي أيامها ولياليها في انتظاره، تنتظر سماع جرس الهاتف لتعرف أنه مازال يتذكر أنها زوجته.

كانت تتمنى لو تُخيّره بينهما، لكنها كانت تعرف اختياره، وكأنه لا يعلم أنها تُحبه كما لن تُحبه امرأة أبدًا ولو كانت زوجته الأولى، التي لم تشعر بقلب زوجها وهو يميل لأخرى، أو تلاحظ انصراف مشاعره عنها، أي حب هذا الذي يظن أن زوجته الأولى تحمله له وأي اهتمام!

ليته كان يدرك الفرق بينهما، ويعرف أيهما التي تُحبه حبًا حقيقيًا، لكنه لم يعرف، وهكذا أجبرتها كرامتها على أن تُطالبته بالمساواة بينهما في وقته واهتمامه أو الطلاق، فطلّقها.. طلّقها وأعطاها كل حقوقها وأكثر!

كم أهانها.. كم جرحها! ليته أبدى تزمتًا أوتعنتًا معها كي تكرهه.. كي لا تشعر أنها خطأ بالغ في حياته، تخلص منه بكل لهفة.

تسربت سنوات شبابها غارقة في جرحه، وفي حب ابنتها، لم تثق في رجل آخر، ولم تقبل الزواج مجددًا، تأمل.. تنتظر.. أن يعود لها (يسري) ذات يوم.

إلى أن انتقل للعالم الآخر قبل أن يعود إليها ولو ليخبرها أنه نادم وظلمها.. وأنه مازال يحبها.. تركها هكذا.. بلا نهاية لجرحها.

اشتدت برودة الجو، فنهضت عائدة لغرفتها، وقفت أمام المرآة تُطالع صورتها الباهتة، رغبت فجأة في إسدال شعرها بخصلاته الطويلة الملتوية الأطراف، تُمرر أصابعها النحيلة على اللون الأبيض الذي خالط سواده..

لو بقي (يسري) معها حتى الآن لأحب تلك الخصلات المضيئة كما أحب قبلاً سوادها..

ابتسمت قليلاً وتدثرت في فراشها تنتظر دخول ابنتها.

"انتقلت إلى رحمة الله والدة الأستاذة (مريم يسري)، وسيُقام العزاء غدًا في منزل العائلة، نسألكم الدعاء"

أمسك رأسه بين يديه بقوة وذلك النعي المختصر على صفحتها يهوي عليه كالصاعقة.

"آه يا (مريم)!

كم أنتِ وحيدة الآن.. كم أنتِ حزينة.. كم تحتاجينني بجانبك!"

نهض من خلف مكتبه يقطعه معذبًا ممزقًا، لا يدري ماذا يفعل؟ وكيف يكون بجانبها الآن؟ وهل ستقبل ولو النظر في وجهه مجددًا بعد ما فعله بها؟ وهنا في مكتبه ليشهد في كل يوم بعدها الألم الذي حفره على ملامحها، وانصرافها الصامت الحزين؟

لم يكن ينوي هذا.. لم يكن ينوي خداعها أو إيذاءها عندما التقيا لأول مرة بعد فراق خمس سنوات، كان ينوي مواجهتها مباشرة وإخبارها كم هي أنانية وفاشلة في علاقاتها، وأن السنوات لم تُثبت سوى أنها هي التي لا يمكن أن تنجح في أي ارتباط.

كان يظن أنه سيسترد شيئًا من كرامته الجريحة طوال السنوات الماضية إن حدثت تلك المواجهة، حتى اقترب منها ورآها..

وجهها الفاتن.. خصلات شعرها الرائعة السوداء.. عينيها الساحرتين..

وقف فجأة في ركن معتم من ذاكرته، يحاصره حضورها، بدت كجنّيات الأساطير.. فاتنة، مُهلكة.. لا تمر بها السنون!

تنثر كلماتها، وتجلس كملكة على بُعد مقعد من غرامه.. كما كانت دومًا.

فاجأته ردة فعله وفعلها على لقائهما، نسي كل ما فكر فيه وأعده وهو ينظر إليها، يرى ومضات حبه باقية في عينيها الرائعتين.. عينيها اللتين استودع فيهما قلبه ذات يوم فردته له بعدها دون أن تُبالي بنزفه.

رباه.. كم صبر عليها وتحملها في خطبتهما البعيدة، كان يعرف كم تفتقد للأمان في حياتها فأحاطها بكل اهتمامه ومشاعره متوقعًا أنها ستمتن له، ستُقدر حبه الهائل لها، وتصديه لأسرته المتحفظة على كونها ابنة لزوجة ثانية، لا أن تتهمه بالتملك والرغبة في السيطرة عليها!

كان يرى تخبط مشاعرها وهي تكتب عملاً جديدًا، وشرود ذهنها عنه إن اضطرت للتوقف عن الكتابة كي تلقاه، كان يشعر أن حبها له يشاركه فيه ألف رجل آخر لا يعرفهم.. منسوجين في خيالها، لا تستطيع التخلي عنهم!

بل وأرادت أن يبقى ذلك الجنون رسميًا.. وتنشر أعمالها وتصبح كاتبة حقيقةً بدلاً من نشاطها المحدود على صفحات الإنترنت. لم يتقبل الفكرة.. ولم يُحب انشغالها عنه واهتمامها بمستقبلها لهذا الحد، كأنها لا تثق به، كأنه لن يوفر لها الأمان الذي تحتاجه، كأن حبه لها لا يغنيها عن كل خيالاتها التي تأخذها منه.

وكان يعرف أنها تعشقه مثلما يعشقها، فلم يتخيل للحظة أنها قد تتركه وتُفضّل خيالها عليه!

لم يستطع التعافي من صدمة هجرها لوقت طويل، ظن أنها ستعود له بعد شهر.. اثنين.. لا أن ترتبط برجل غيره بعد بضعة أشهر فحسب، لتتوالى ارتباطاتها بعد ذلك برجل تلو الآخر!

فكيف يعرف بعد كل هذا أنه عندما يلقاها مجددًا سيرى نفس الفتاة العذبة التي وقع في غرامها أول مرة.. فتأسره من جديد..

لكن كيف له أن يثق فيها؟ كيف لا يشك في كل جملة تخطها لا يعرف أهي لرجل حقيقي أم خيالي؟

حاول الاستمرار.. حاول منحها ثقته بحذر هذه المرة، لكن في النهاية لم يقدر أن ينسى كل شيء، أن ينسى رجالها الحقيقيين والخياليين معًا!

وجاءت لقاءاتها بـ(عادل) ليدرك أنه لن يتحمل كل هذا مجددًا، وأن عليه هو هذه المرة أن يذيقها ما فعلته به قبل أن تُفضّل عليه خيالها مرة أخرى.

كم هو بغيض الانتقام!

كم هو دنيء ومخادع ويؤلم كل من يقترب منه!

لم يدرك هذا إلا بعد مغادرتها مكتبه والصدمة تمنعها من إلقاء أي كلمة لوم عليه، شعر حينها أنه ليس من حقه أن يؤلمها لهذا الحد، وأنه يريد ضمها إليه ليمحي أثر كلماته عليها، لكن من يمكنه استعادة الرصاصات بعد إطلاقها؟

حتى صفحتها باتت صامتة مثلها، لم تكتب شيئًا منذ أن تركها، طوال السنوات الماضية كان يقرأ كُتبها، قصصها المنثورة كحبات عقد يجمعهم ليعرف أمازال باقياً فيها أم لا..

روايتها الأخيرة التي حققت رواجاً واسعاً، أراد بشدة تصديق أنه حقًا "خالدها"، وهو من تكتب له..

كان يعرف حكايا قلبها مما تخطه على صفحتها، يعرف متى تبدأ قصة حب ومتى تُنهيها.. متى تهجر.. ومتى يُنهكها الإخلاص!

لكن الآن لا شيء.. لا شيء أبدًا.

تناول هاتفه، ثم تردد في الاتصال.. لن تُجدي مكالمته شيئًا حتى لو أجابته، ليته كان معها الآن.. كان يجب أن يكون معها الآن!

لم يكن أمامه سوى أن يذهب للعزاء كأنه غريب، كأنه لم يضمها إليه يومًا، دخل المنزل الذي كان بابه مفتوحًا وصفوف الكراسي مرصوصة فيه بانتظام، وصوت القرآن الكريم يصدح في الأركان بخشوع وشجن.

لمح زوجة والد (مريم) الأولى مع اثنين من أولادها، شابين مهذبين، التقى بهم جميعًا مرة واحدة في عزاء الأب، وبدت أمهم سيدة لطيفة وراقية، استقبلته هو و(مريم) بكل مودة سمح بها الظرف الحزين.

تقدم أكثر باحثًا عن (مريم)، فوقع نظره أولًا على (ماجد)، نشأت بينهما صداقة خفيفة حين خطب (مريم) واعتبره دومًا شخصا طيبًا و"جدعًا"، تبادلا بضع مكالمات واتصالات على فترات متباعدة السنوات الخمس الماضية،

ثم رأى (عادل) الذي كان يتحرك ويتصرف كأنه من الأسرة، حاول أن يكبح انزعاجه البالغ لرؤيته، قبل أن يرى (غادة) الصديقة القديمة المقربة، والمتكبرة نوعًا، كان يشك دومًا أنها من حثت (مريم) على تركه وإنهاء خطبتهما.

وأخيرًا.. (مريم)!

تسمر تلقائيًا وهو ينظر إلى وجهها الشاحب الحزين، وعينيها المحمرتين من البكاء، رغم تماسكها النسبي..

اقترب أكثر وسواد شعرها الحريري الطويل يكاد يمتزج بسواد ملابسها، ليبقى وجهها الجميل مضيئًا بشجن خالص.

كانت تُصافح المعزين دون تركيز كبير وترد بكلمات محفوظة مقتضبة، حتى وقف أمامها وأمسك يدها بقبضة حارة مواسية، فرفعت عينيها إليه، أرادت جذب يدها منه برد فعل تلقائي، فلم يسمح لها وغطى كفها المرتعش بيده الأخرى يجبر عينيها على النظر لعينيه، سالت دمعتان على وجنتيها تحملان ألمًا ولومًا.. وعدم غفران.

ودّ لو لم يكن حولهما مخلوق ليحتضنها كما فعل بعد عزاء أبيها، كان يعرف أن خسارتها هذه المرة أفدح من أن يحتويها عناق، لكنه يعرف أيضًا أنها بحاجة لهذا العناق..

"آه يا حبيبتي.. ماذا أقول لكِ وأنا أعرف أن الكلمات لا معنى لها عندما نحتاجها.. ليتني أضمك.. ليتني كنت معك في كل لحظة ألم لأخفف عنك!

ليتني أجرؤ على طلبك للزواج الآن فقط كي لا تنامي الليلة وحدك.. وإنما تتوسدين صدري وقلبي لأُبعد عنكِ كل الحزن".

اقتربت منه (غادة) تقول وهي تنقل نظرها بينهما بنظرة هادئة رسمية:

- أهلاً يا (يوسف)، تفضل هنا.

وأشارت لركن الرجال، كان شاقًا عليه أن يُبعد عينيه عن عينيّ (مريم) أو أن يترك يدها، لكنه يعرف أن عليه ألا يُلفت الأنظار إليهما أكثر من ذلك، و(غادة) ببرودها المعهود هي التي تنتبه دومًا لهذه الشكليات.

ابتعد خطوة عنها، ينظر إليها وهي تستعيد توترها وضعفها فجأة وترفع يدها لوجهها تغطي بها عينيها.

تحرك مبتعدًا مجبرًا، مدركًا أن عليه أن يتحدث معها، أن يعود لها ثانية بعد أن يغادر كل هؤلاء، ولا يبقى إلا هي وهو.

وفي طريقه للمغادرة رأى نظرة حادة في عينيّ (عادل) مصوبة إليه، فبدت فكرة ضربه مغرية للغاية، خاصة وهو لا يطيق وجوده هنا مع (مريم)، لكنه كبح رغبته تلك مقنعًا نفسه أنه سيعود لها لاحقًا دون وجود أي أحد، خاصة (عادل) وأخته.

***

لم يستطع الانتظار أكثر من يومين قبل أن يطرق بابها دون موعد، مضت عدة دقائق قبل أن تفتح له حزينة مندهشة مستنكرة وجوده.

- أريد أن أتحدث معكِ.

بدت كأنها ستنفجر فيه غضبًا قبل أن تقول بحدة:

- لا يمكنك القدوم هنا، أنا أعيش وحدي الآن.

- أعرف، لكنني لن أبقى إلا دقائق قليلة.

- ليس هناك ما يقال يا (يوسف).

- بل هناك يا (مريم)، من فضلك.

وتقدم نحوها فتراجعت مضطربة ساخطة وهو يدخل ويُغلق الباب، وقفت تنظر له بتحفز بعينيها الواسعتين الجميلتين، فقال والأسف في نبراته:

- أعرف أنكِ لا تطيقين وجودي الآن، أعرف إنني جرحتكِ بشدة، لكنني لم أخدعكِ، أحببتكِ طوال الوقت، حتى في فراقنا، لكن كانت لدي أسباب للشك في مشاعرك والتصرف بهذه الطريقة، بدلاً من أن تبادري أنتِ بتركي ثانية.

قالت والألم يمتزج بالغضب في صوتها:

- بل كنت تخدعني طوال الوقت وتنتظر اللحظة التي ستطعنني فيها لتقف وتضحك ساخرًا منتصرًا، أتعرف؟ كنت محقًا يا (يوسف)؛ هناك خطايا لا يمكن غفرانها أو نسيانها!

- هذا غير صحيح، فلو كان كذلك لما استطعت أن أُبقي على حبكِ بقلبي طوال هذه السنوات وأنتِ ترتبطين كل عام برجل تلو الآخر! كان من حقي ألا أثق بكِ بسهولة بعد كل هذا.

قالت والدموع تخنق صوتها:

- كنت أرتبط برجل تلو الآخر كما تقول لأحقق رغبة أمي في أن تراني متزوجة وسعيدة حتى لو لم أُحب أيًا منهم، فكرت أنه يمكنني أن أُبقي مشاعري وحبي لأعمالي وأبطالي وأعيش حياة واقعية رتيبة مع زوج وأطفال تتمناهم أمي، لكن لم أستطع، كل مرة كنت أكتشف أنني لا يمكن أن أتزوج رجلاً لا أحبه، خاصة بعدما عرفت كيف أُحب رجلاً على يديك! ومع ذلك لن أبرئ نفسي، أعرف أنني أخطأت في بدء شيء كنتُ غير واثقة منه، لكني لم أتعمد جرح أحد، أو أضمر له شرًا!

قال وقلبه يئن:

- لم أضمر لك يومًا شرًا يا (مريم)، تعرفين هذا.

- لا، لا أعرفه! لا أعرف سوى أنك غرست خنجرك في قلبي بكل قسوة، فانشغلت بصدمتي ووجعي عن أمي في أيامها الأخيرة، أتعرف أنها كانت تسألني عنك؟ أتعرف أنها كانت تُريد لقاءك؟ أتعرف يا (يوسف)؟!

- (مريم)..

- لا تقل شيئًا، لا أريد سماعك أو تصديقك بعد اليوم! لقد جعلتني أُقصّر في حق أمي! ماتت وقلبها يتألم لأجلي دون أن تعرف السبب.

مزقته نبرتها الباكية وامتلاء عينيها بالدموع، قال يشعر أنه أحقر مما تخيل:

- أنتِ لم تُقصري في حقها أبدًا ولو لحظة يا (مريم)، اعتنيتِ بها طوال عمركِ كما لم تفعل ابنة مع أمها قط.

مسحت بغضب دمعة سالت على وجنتها، وقالت تنظر له بكره:

- لن أسامحك أبدًا يا (يوسف)، من فضلك ارحل من هنا ولا تعد أبدًا.

اكتسى وجهه بالألم، لم يدرِ ماذا يمكن أن يقول وهي تواجهه بما لم يخطر له، شعر أن جرحها أكبر من الحب الذي ظنته يومًا قادرًا على غفران أي شيء..

تحرك مغادرًا، ووقف قبل أن يفتح الباب ليقول لها بعينين مليئتين بالحب والأسى:

- سأدعك حتى تتجاوزي حزنك يا (مريم)، لأنني لن أرضى بهذه النهاية لنا.

لمح في عينيها ترددًا.. ارتباكًا، قبل أن تُبعدهما عنه، وتغلق الباب خلفه بسرعة.

obeikandi.com

بدا المنزل مبهجًا والزينة معلقة في أركانه، تحركت (غادة) بحيوية تتفقد الحلوى والمشروبات، وتحاول إقناع طفليها وأصدقاءهما الصغار بالانتظار حتى يحضر البقية ليطفئوا الشموع، واتجهت للباب بحماس عندما تصاعد صوت الجرس.

- انتظري! لا تفتحي الباب هكذا!

التفتت ضاحكة لـ(ماجد) المتوتر الحاجبين، وقالت:

- إنه (عادل)! قلت لك مليون مرة لن يأتي رجل غريب للحفل، فقط أصدقاء (زيد) و(رزان) وأمهاتهم.

نظر عابسًا لشعرها البني الحريري المرسل على كتفيها، ووجهها الفاتن المزين برقة تُبرز جماله، استدارت تفتح الباب والابتسامة على وجهها، تعي قلقه وهو يرمق ثوبها الأنيق بلون الخوخ، الذي يصل لركبتيها وبلا كُمين.

- ما هذا الجمال!

قال لها (عادل) بمودة وهو يُقبّل وجنتيها ويتقدم للداخل، صافح (ماجد) بمرح وذهب للطفلين يعطيهما الهدايا.

سألته (غادة) بعدما انتهى من ترحيب الصغار:

- هل أصرت (روان) ألا تأتي معك؟

رد بفتور:

- نعم، ذهبت لوالديها ولا أعلم متى ستعود.

رمقته بتعاطف وقالت:

- ألم يحدث أي تقدم معها؟

- لا، ولا يبدو أنه سيحدث، إننا نبتعد أكثر يومًا بعد الآخر، تُعاملني كغريب معها في المنزل، لا أعرف إلى متى سأتحمل كل ذلك.

- ربما تشعر بالخجل أو الذنب، تشعر أنها تُعذبك معها، لذا تتصرف بهذه الشكل.

رد ساخرًا:

- لذا تزيد عذابي بالفعل؟! لا أصدق أحيانًا أنها ذات المرأة التي عشت معها ست سنوات!

- إنها مُتعبة يا (عادل)، الصدمة...

- أنا تعبت أكثر يا (غادة)!

قالها بحدة غير معهودة فيه فلاذت بالصمت، تنهد ثم قال باعتذار:

- لا أقصد أن أصيح بكِ، لكني تعبت من المحاولة معها.

obeikandi.com

ربتت على كتفه بحنان وقالت:

- لا عليك يا حبيبي، دعنا من هذا الكلام الآن.

أومأ موافقًا ثم نظر حوله قبل أن يسألها:

- ألم تأتِ (مريم) بعد؟

- لا.

- أمتأكدة أنها ستأتي؟ لم يمر سوى شهران على وفاة أمها.

هزت كتفيها وقالت:

- لا أظنها ستتضايق من الاحتفال بعيد ميلاد (زيد)، بل ربما كانت لتفعل إن لم أدعوها.

- معكِ حق.

رمقته بسؤال متردد، ثم فضلت ألا تطرحه، كان يُظهر اهتمامًا واضحًا بـ(مريم) الفترة الأخيرة، تعرف أن المشاكل بينه وبين (روان) في تزايد، لكن هل يبرر له ذلك إبداء اهتمامه؟ خاصة بعد الإعجاب القديم الذي كان متبادلاً بينهما؟ فمن الناحية الأخرى (مريم) أيضًا كسيرة الفؤاد ووحيدة بعدما تركها (يوسف) وتوفت أمها، فهل يمكن..؟

لم تستطع تصور الفكرة، وفضلت عدم فتح الموضوع معه الآن، ربما كان من المبكر جدًا التفكير في تلك الاحتمالات.

obeikandl.com

وصلت (مريم) بعد قليل، بدت أنيقة بثوب أسود مع وردي، وبعينيها الكحيلتين وشعرها الحرّ الطويل، عانقتها (غادة) بترحاب وحرارة سعيدة بتماسكها:

- تبدين متألقة.

ابتسمت (مريم) قليلاً وقالت تتأملها:

- ماذا أقولك عنكِ إذن؟ وكأنكِ شمس مبهجة، كيف أقنعتِ (ماجد) أن ترتدي هذا الثوب؟

ضحكت وهي ترد:

- الحفل للنساء فقط! ماعداه هو و(عادل)، ماذا تريدون أكثر! أليس من حقي التباهي بنفسي ولو ليوم واحد؟

- من حقكِ بالطبع.

قالتها (مريم) بمودة، قبل أن ينضم لهما (عادل)، راقبت (غادة) بفضول حاولت مدارته ترحيبه بـ(مريم) ونظراته الرقيقة المفعمة بالود، وفي المقابل بدت صديقتها رسمية مجاملة، لا تعرف إن كان هذا بسبب وقوفها معهما أم لا، فلم يخفَ عليها إعجاب (مريم) بأخيها منذ سنوات طويلة وقبل ظهور (يوسف) في حياتها، لكنّ ظروف نشأتها وقصة أمها حالت دون أن تُزكيها عند (عادل) أو والديهما، مفضلة الحفاظ على صداقتها بها بعيدًا عن التعقيدات والارتباطات الأسرية.

عندما تركتهما وحدهما وجدت (مريم) تلحق بها معتذرة من (عادل)، وعندما ابتعدا قليلاً قالت (مريم):

- تبدو الأمور على ما يرام بينكِ وبين (ماجد).

ردت (غادة) موافقة:

- نعم إلى حد ما.

- أتعرفين أن (ماجد) من أطيب الرجال الذين رأيتهم؟ كنت دائمًا أرى الحب في عينيه وهو ينظر إليكِ.

ضحكت (غادة) قليلاً وردت:

- ليس لهذه الدرجة، الأمور ليست مثالية تمامًا، لكننا نحاول.

نظرت لها (مريم) بنظرة جادة لكن رقيقة، وهي تقول:

- لا يوجد شيء مثالي يا (غادة).

- بالطبع.

- ولا حتى أنتِ.

نظرت لها (غادة) دهشة قليلاً، وحاولت إخفاء انزعاجها، تلوم نفسها على إخبارها بمشكلتها الخاصة التي لا شك أنها تُلمّح إليها.

obeikandi.com

أنقذها رنين الهاتف من إيجاد رد، فاستأذنت منها مبتسمة تُسرع لتجيب المكالمة.

- أستاذة (غادة)؟

ردت بتوجس:

- نعم، من معي؟

- أنا (سارة).. من جروب هواة التصوير، التقينا في حديقة المعادي، زميلة (شريف).

دار رأسها بصدمة.. وشعرت بجفاف في حلقها، فتحركت مبتعدة عن الحضور ودخلت غرفتها تُغلق الباب وراءها، وهي تُفكر في إغلاق الخط.

تابعت (سارة) بعدما لم تتلقَ ردًا:

- أخذت رقمك من (لمياء)، فمازالت صفحتك مغلقة على الفيس بوك، أرجو ألا أكون قد سببتُ لكِ أي إزعاج، أنا أردت فقط أن أدعوكِ.

تمتمت (غادة) وهي تتماسك بصعوبة:

- تدعوني لأي شيء؟ أنا لم أعد في مجموعة التصوير ولا يهمني التواجد في أي رحلات أخرى.

ضحكت الفتاة بمرح وقالت:

- لا اطمئني، الدعوة لا علاقة لها بالتصوير، وإنما لخطبتي أنا و(شريف).

- فعلاً؟! خطبتكِ أنتِ و(شريف)؟!

هتفت بصدمة ممتزجة بالارتياح، قبل أن تتمالك نفسها.

- نعم، يوم الخميس، بعد أسبوعين من الآن.

تسارعت أنفاس (غادة) بارتياح مع توتر وحيرة، قبل أن تقول:

- ألف مبروك، لكن لدي ظروف عائلية تمنعني من الحضور، أتمنى لكما كل سعادة.

ردت (سارة) بمودة:

- شكرًا يا أستاذة (غادة)، أنا سعيدة أنني تعرفتُ على شخصية محترمة مثلك.

لا تدري لماذا خنقت الدموع صوتها فجأة ومن أين أتت، وهي تُنهي تلك المكالمة الغريبة بمزيد من الأمنيات بالتوفيق والسعادة.

جلست واجمة لدقائق عديدة على طرف فراشها، متزعزعة المشاعر والأفكار، تشعر بامتنان شديد للقدر الذي منعها من أن تُدمر حياتها بسبب وهم، ولزوجها الذي ثابر وصبر حتى تتحرك مشاعرها نحوه من جديد، فمنذ عودتهما من شرم الشيخ وهو يحاول تجنب الأفعال التي كانت تُضايقها منه دومًا، لم تكن بداخلها راضية تمامًا، لأنه لم يتوقف تمامًا عن عصبيته

خاصة في الصباح.. أو حتى المكالمات التي أصبحت مقتضبة وتتباعد فتراتها تدريجيًا، كانت تشعر أنها لم تنل ما تُريده تمامًا.. لكن فعلاً.. من قال إن هناك شيئًا مثاليًا تمامًا؟ ولو هي نفسها!

- أخيرًا وحدنا! لا تتحركي من مكانك!

دخل (ماجد) يقول بسرور وهو يُعيد غلق الباب خلفه، فابتسمت قبل أن تنهض وتحتضنه دون مقدمات.

قبّل رأسها وهو يُطوقها بذراعيه، ويقول:

- تبدين رائعة الجمال، كلما نظرت إليكِ أشعر أنني أكثر رجل محظوظ في العالم.

وتابع مداعبًا وهو ينظر لوجهها بنظرة مرحة:

- هناك ولد في العاشرة ينظر لكِ بشكل يزعجني.. أود طرده من الحفل!

اتسعت بسمتها ثم قالت:

- وأنا أيضًا أكثر امرأة محظوظة في العالم لأنك زوجي.. وتُحبني.

أشرق وجهه بسعادة وهو يسمع منها تلك الكلمات لأول مرة.. ضمها من جديد.. تشعر بطوفان من الحب والامتنان نحوه.

عندما خرجت لتُتابع الاحتفال، وجدت (عادل) يقف مع (مريم)، التي سرعان ما اتجهت إليها حالما رأتها، وقالت باعتذار:

- لقد ضايقكِ كلامي، أليس كذلك؟

ابتسمت (غادة) وهي تقول من قلبها:

- لا يا حبيبتي، لم تقلي شيئًا خاطئًا.

- كل ما قصدته أنني فعلاً سعيدة لمحاولتك أنتِ و(ماجد) الحفاظ على حبكما وعلاقتكما، ليس أي رجل مستعد للتواصل مع زوجته حتى لو كان متأكدًا أن هناك مشكلة كبيرة بينهما.

- أعرف يا (مريم) صدقيني، وأحمد الله على ذلك.

وتابعت بمرح وهي ترى ابتسامة (مريم):

- حان وقت إطفاء الشمع.

obeikandl.com

"– لا أصدق هذا! لا أصدق! أنت دنيتي يا (خالد) وعمري كله، يجب أن تكون بخير، يجب أن تعود لي لأنني لن أعيش دونك ثانية، ليس بعدما وجدتُك أخيرًا، ليس بعدما خَبِرتُ السعادة معك والحب معك، والحياة كلها معك.

انهمرت دموعها وهو يلثم يدها بحب وضعف، ويقول:

- سامحيني لأنني كذبتُ عليكِ، علمتُ منذ شهور بحالة قلبي، لكن لم أستطع إضاعتكِ مني ثانية، أخفيتُ عليكِ لأنه لم يكن أمامي غير ذلك، أُحبكِ أكثر مما أحببتُ مخلوقًا في دنيتي كلها، أنا آسف.. آسف لأنانيتي، لم أتمنَ أبدًا أن أُسبب لك كل هذا الحزن، لكن.. رغمًا عني حبيبتي.. سامحيني.

رمقها بنظرة نزعت قلبها من مكانه فشقهت منتحبة، أبعدها الطبيب عن فراشه ليتفحصه معقود الحاجبين وعيناه على مؤشرات الأجهزة المتصلة به، وقفت تضم يديها لصدرها، تُراقبه بعينين مذعورتين وجسد يرتجف بيأس، وفي ذات اللحظة فُتح باب الحجرة ليندفع ثلاثة شباب في مرحلة المراهقة تتبعهم سيدة في منتصف العمر، اقتربوا من فراش (خالد) ونداء "أبي" يتصاعد بهلع، حتى تحرك جفناه بجهد ونظر إليهم، غمرهم بنظرة تعاطف وحنان، وبحثت عيناه عنها حتى وجدها، منحها نظرة اعتذار مفعمة بالحب وابتسامة لم تكتمل، قبل أن يُسبل جفنيه للمرة الأخيرة..مطفئًا معه حلم عمرها".

غرقت شاردة في آخر سطور خطتها قبل أن تتجه لمنزل (غادة)، وهي تسير في شارعها الهادئ في هذا الوقت من المساء.

شعرت بسعادة حقيقية وهي ترى الحب والانسجام بين (غادة) وزوجها، منذ سنوات طويلة لم ترَ نظرة الرضى في عيني صديقتها كما رأتها اليوم، لاسيما بعد إطفاء الشموع وابتسامتها التي منحتها لـ(ماجد).

كانت ستغادرهما وروح سعادتهما تُحلق فوقها لولا ملاحقة (عادل) لها في كل ركن من الشقة تذهب إليه هربًا منه، وبدا ذلك التصرف الصحيح في رأيها، ليس كرهًا فيه، فهي حقًا متعاطفة معه، لكن لا تريد رؤية أكثر من الصداقة في عينيه، لا تريد فهمه بشكل خاطئ. لكنّ عاطفة فاقت الصداقة بدت في نظراته وهو يعرض عليها توصيلها، ثم يُلحّ في ذلك، إلى أن اضطرت أن تخبره بنبرة لها أكثر من معنى: "الوقت تأخر يا (عادل)!"

رأت ارتباكه وحيرته في تفسير المعنى الحقيقي لكلماتها، فتركته ورحلت، تعرف أن الحب الحقيقي الذي يعلق في الروح لا توقيت له.

- لماذا لا تردين على هاتفكِ؟

توقفت مجفلة، ونظرت لـ(يوسف) بمزيج من التوتر والصدمة وهو ينزل من سيارته أمام عمارتها.

- ماذا تفعل هنا؟

تقدم منها خطوتين ليقع ضوء عمود الإنارة عليه بشكل نصفي، فيُضيء نصف وجهه بوضوح، ويُعتم النصف الآخر بنور القمر.

- كنت أنتظركِ، اتصلتُ بكِ كثيرًا ولم تردي.

- لم يعد هناك ما يستحق الرد.

همست بشجن، ورأت في عينيه وجع قلبها، قبل أن يقول:

- ألن تسامحيني؟

سألت ساخرة بحزن:

- أتُشفق عليّ يا (يوسف)؟

- بل أُشفق على نفسي.

نظرت لعينيه وشعرت بحرارة الدموع تلسع جفنيها، صمتت لا تدري ماذا تفعل بقلبٍ نصفه واقع ونصفه خيال، تمامًا كوجه الذي تنظر إليه.

- اكتشفتُ أن الذنوب لا تجعلنا ملائكة يا (مريم).

قالها بندم واعتذار..

همست بعد لحظات:

- (خالد) مات.

عبس محاولاً فهم ما تقول، قبل أن تتابع ببسمة ساخرة:

obeikandl.com

- اكتشفت أنا أنه لا يمكننا تغيير النهايات، حاولتُ.. رسمتُ لهما حياة مليئة بالحب والشغف، خدعاني.. ظننتُ أنني أُسيطر على كل شيء، وإذا بي في النهاية أخطّ قدرهما الذي لا مفر منه.

رأت حيرته.. محاولته ألا يُظهر عدم اقتناعه بما تقول، ثم قال في النهاية:

- هذا لا يعني بالضرورة أن تكون هذه نهاية علاقتنا نحن، القرار بيدنا، دعينا نبدأ من جديد وننسى كل ما مضى، لقد أخطأ كلانا يا (مريم)، لكن يجب أن نتجاوز كل ذلك ونُسامح.

وجدت على شفتيها نفس الجملة التي قالتها يومًا لصديقتها:

- أكان يجب أن تنال نصيبًا من الإثم لتُسامح يا (يوسف)؟

- (مريم)!

قالها بلوعة وهو يتقدم خطوة أخرى نحوها ليمسك يدها، فتراجعت مبتعدة، ليقف وحده في الضوء وتراه بوضوح، كانت أضعف من أن يمسها، وأقوى من نظرات الحب في عينيه.

- لا يمكن أن ننتهي هكذا يا (مريم)، ما بيننا ليس حبًا عاديًا، فبعد كل هذه السنوات لم نجد أنفسنا إلا معًا، لا يمكن أن يشعر أي منا بالحب نحو شخص آخر، ألم تُدركي هذا بعد؟

ضغطت بأسنانها على شفتها السفلى دون وعي، كان محقًا وتعرف ذلك، لكن جدار الخطايا ارتفع بينهما بشكل لا يستطيعان تجاوزه.

obeikandl.com

- إذن لاتقلق، فإن لم تكن هذه هي النهاية المرسومة لنا، سيجد أحدنا الآخر مجددًا.

- لكن...

قاطع كلامه رذاذ خفيف من المطر بدأ في الانهمار، ارتعشت إنارة العمود الكهربائي ثم انطفأت، ليغمر كلاهما ضوء القمر..

تمنت لو تقف طويلاً تنظر إليه.. لطالما أحبت النظر إليه ولا يغمرها سوى ضوء القمر وذراعاه..

همست بخيال مُرهق:

- يجب أن أصعد لمنزلي الآن.

بدا مترددًا.. رافضًا.. خاوي الحيلة في إقناعها..

- أُحبك يا (مريم).

ألقى سلاحه الأخير وصوته الشجي يُعانق روحها الهائمة، همست:

- وأنت وحيي يا (يوسف).

انتظر المزيد منها، لكنها لم تُضف شيئًا..

obeikandl.com

ربما لأننا عندما نقع في حب نفس الشخص مرتين تغرس المرة الثانية في القلب الحب والألم جنبًا إلى جنب، فتُصبح مثقلاً بالوجع أكثر من أي شيء آخر.

استدارت مبتعدة تسبح في صمته الحزين.. وفي ليلة مضطربة المزاج من مارس تُفاجئهم بعواصفها دون توقع، لتُغرق الأرض بسيولها، وتُشعل من المشاعر ما تُشعل.. ثم يأتي الصباح كالعادة بشمسه الدافئة، وتنتهي العاصفة، كعشق رجل في ليلة حب ينسى كل شيء عنها مع سطوع الشمس.

دخلت منزلها، بدا كل شيء مظلمًا وكئيبًا فيه، فتوجهت لغرفتها دون أن تُشعل ضوءًا..

دارت بعينيها في المكان وكل شيء يمر أمامها.. لهو الطفولة.. سخافات المراهقة.. آلام النضج..

كل ألم وفرح في عمرها امتزجا ليصبحا تاريخًا لا أكثر ولا أقل، تاريخ منزوع الحسرات والندم، بعدما لم يعد في وسعه أن يكون أكثر من ماضٍ..

وعلى وقع قطرات المطر التي تدق زجاج شرفتها، أخذت تدور وترقص مغمضة العينين.

obeikandl.com

شكر خالص لكل من قرأ لي يومًا وشجعني..

لجروب "عالم الخيال" وأعضائه الأعزاء؛ الذين قرأوا أعمالي على مرّ السنوات، واستفدت من كل نقد أو تعليق..

وشكرًا لأحلى صديقات في الدنيا، واللاتي لا يبخلن عليّ أبدًا برأيهن ومشورتهن، على سبيل المثال لا الحصر:

هبة أحمد، أسماء عبد الحميد، إيمان أحمد، إيمان راشد، هالة المنسي، هدى إسماعيل، أسماء شعبان، وشيماء نصر.

وامتنان وحب لصديقتيّ عمري.. أول قراء وأول جمهور:

مروة ممدوح ودينا صلاح.

شكرًا لكم جميعًا..

obeikandl.com

obeikandl.com

للتواصل مع الكاتبة

https://www.facebook.com/Marwa.Samir٢٠١٤

obeikandl.com

جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

Noon_publishing@yahoo.com

ت-٠٢-٣٥٨٦٠٣٧٢ ٠١١-٢٧٧٧٢٠٠٧

obeikandl.com